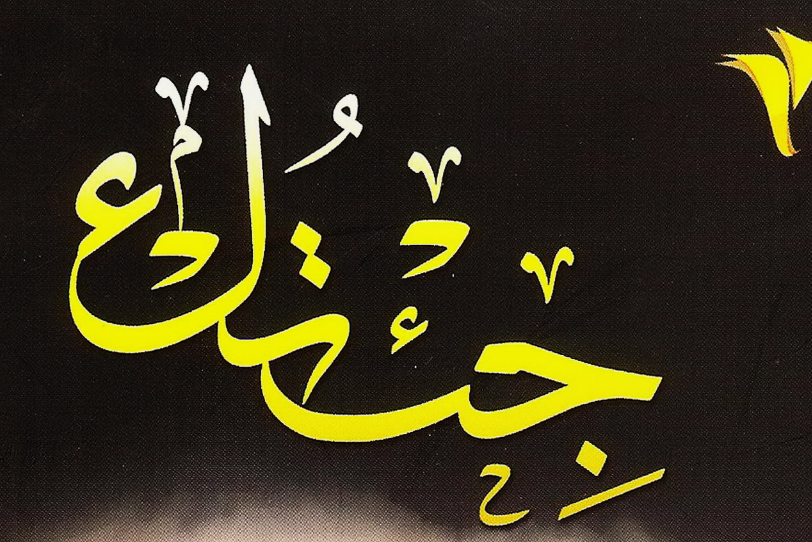




حسين المتروك


شبكة الفكر
alfeker.net




حسين المتروك

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي الزهراء محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

السلام على الجيوب المضرّجات
السلام على الشفاه الذابلات
السلام على النفوس المصطلمات
السلام على الأرواح المُختلَسات
السلام على الجُسوم الشاحبات
السلام على الدماء السائلات
السلام على الأعضاء المقطعات
السلام على الرؤوس المشالات[1]

---

(١) الدعاء والزيارة: السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره: زيارة الناحية المقدسة: ص ٧٩٥.



الإهداء..

«لن يكون سوى لآل الزهراء..»

إلى من مشَت من الشام إلى كربلاء..

إلى من أخيها قُتلَ في العراء..

إلى من بكى معها النبلاء..

إلى من سلّبوها الخباء..

إلى من ضجّت من صبرها السماء..

إلى من هي ابنة فاطمة الزهراء عليها السلام..

إلى من تَركت فيني ذكرى وبكاء..

إلى زينبٍ تلك سليلة الأنبياء..

ابنة عليٍّ ذي القلب الشجاع..

حسين



قبل البدء،،

«في الحب شـيء من الجنون ولكن في الجنون شـيء من الحكمة!»

باسم الحسين

قُبيل البدء، هي مذكرات وآهات لم أشأ تركها على منضدتي وقراءتها بشكل فردي دوماً ودوماً،.. هي لحظات حقيقية لكنها أقرب إلى الخيال!، فلم أكن ذا رغبة في الخروج من تلك اللحظات وكأنها الحلم الذي ننام لنراه، ولكنها كانت حقيقة كحقيقة نور الشمس الوضاء..

كل ما كُتب في هذه الورقات ما هو إلاّ ذرّات من لحظات يعجز الوصف عن وصفها ويعجز اللسان عن نطقها والخيال قد يراها بشكلٍ جميلٍ وسيبكي لما سيراه..!

فهذه الحروف والنقاط ستحكي ببعض مما رأته عيناي وخيالي في ساحات النجف وكربلاء، في يوم رجوع ضعن الإباء مع سيدةٍ جليلة لها هيبة الأنبياء.

فـراق،،

«الفراق لحظةٌ نتعلم منها فن الاشتياق»

قبل لحظات الوداع بين الأهل والأصحاب كان استعدادي بسيطاً جداً فبعض الثياب وبعض الأمور الضرورية في أي طريق سـفر يرغب فيه أي إنسان إلى أي مكان، ولكن لهذه الرحلة كان هناك بعض المستلزمات التي سـأحتاجها للبقاء هناك كـ روحي ونفسـي وعشـقي وقلبي، نعم فهؤلاء الأمور كنـت بحاجة إليهم بشـدة وأنا متجـه إلى أطهر البقـاع، وتكونت لديّ قـدرة لم أكن أمتلكهـا في السـابق وأعتقـد تكونت فقط لأنني متجـه إلى تلك الديار، فور أن قررت توديع الجميع أصبحت مشـلولاً بل وأميل للبكاء ليس لأمر معين وإنما لمجموعة أشياء.

قبل فراق الأصدقاء والأحباب ودعت أبي وطبعت تلك القبلة على جبهته الكريمة وبعدها ودعتني أمي بقلبها الكبير وكأنها تقول « اذهب لتسـعى مع زينب الحوراء فهي مشت من الشام إلى كربلاء وأنت ابني أنا ولست ابن الزهراء اذهب لتواسي الزهراء فهي أجدر بالعشـق والولاء » فـي أول دقائق الفراق لمحت فـي الأعين دموعٌ وحب وشوق ولم يكن في داخلي رغبة لأن أكسر هذا العزاء! الذي

لاحظته في وجوه الأحباب فهذا الإحساس كان مدججاً بالولاء، وبدأت في توديعهم كلٌ على طريقته فمنهم من كان راغباً في أن يكون الأخير ومنهم من رفض التوديع إلا بحرارة الدموع ومنهم من كان له طريقة مميزة فقبل منحري بلا استحياء!، وأنا كنت على علم بأن هذا الوداع ليس لأني متجهٌ إلى أحد البلاد أو إني سأتأخر في الخارج ليبكوا هذا الغائب الحبيب وإنما لأني متجه لألامس مكانٌ عليه مشت ابنة الزهراء عليها السلام، أحد المشاهد الجميلة التي لم تفارقني هو وجه أحد الأحباب وهو في غربة الموقف شعرت بأنه سيركب معي ليرحل في هذه الرحلة، وكان حضنه هو الأكبر وكأنه بحر عميق وشعرت بقيمة الإنسان في تلك الثواني.. الآن حان الموعد لحظة الفراق لأذهب للقاء أولي الألباب من بهم صار الإسلام، فور هربي من تلك الثانية الأخيرة نزفت دمعاً أسميه روعة الوداع حقاً كان وداعاً مر المذاق، الوداع.. الفراق أيها الأصدقاء سأركب طائرة اللقاء مُحمّلا بالدموع والدعاء، لا تحزنوا إني برفقة الأنبياء وأجزم بأني سألتقي الحوراء عليها السلام ومعها الصديقة الزهراء عليها السلام ممسكة بيد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأشعر إنها تنادي أيها العالم إن ابني قتل وحيداً وغُسّل بدم الجراح وكُفن بطعن الرماح وصلى على ثغره قضيبٌ من حديد، آه.. من مثل تلك الأم الطاهرة القديسة تجدد العزاء في كل الأيام ولا تسمح لعاشق ابنها أن يهان أو كرامته لا تصان، وقطعت الكهرباء قليلاً عن عقلي وأحسست بالفخر فور ارتفاع طير السماء وأصبحت أحوم بين الجبال الراسية والبحار الممتدة..

إقــلاع،،

«في الإقلاع شيءٌ من الكبرياء المُضاء!»

أقلعــت بعد طول فراق من عالم الذر إلى عالم الأحياء بل إلى أحد أيام رحلة الحياة، فراق طويلٌ مدته.. شعرت بأني أنتقل من عالم الواقع المر إلى عالم نوّرَ بهيبة السماء، عالم له رنين يصل إلى السماء، صمتي المدجج بهيبة همسي الذي ضجّت به عيناي وأنا معلق بين الأرض والسماء جعلت جميع الركاب ينصتون إلى همهمة عاشــق مُلأ باللهفة، ولكن الأمر الــذي كان يؤرقني كثيراً هــو نبض عقلي المتعطش لرؤية تلــك الديار جعلت من الركاب ينظــرون إليَّ وكأني غريبٌ ترك أهليه فــي عراء الصحراء!، كنت جالســاً بجانــب تلك النافذة التي تطل على أراضي الله الواســعة الانتشار في كافة البلاد وأنظر إلى تلك الجبال الراسيات والغيوم الســابحات في فضاء فلوات الســماوات، فجأة عارضت خيالي الصارخ غيمةٌ لها نورٌ يشبه نور الكبرياء! هي كانت حمراء تناغي صوتي وهمّي بشــكلٍ جعلني أبكي بلا اســتحياء، هنا كان للفكر لحظــات، أحقاً أنا ســأزور زوج الزهراء عليها السلام؟! عليًا يعســوبَ الدين وسيف المسلمين ووالد الحسن والحسين عليهما السلام قريباً أنا

في أرض الكرار، الطريق لم يكن طويلاً فعلاً في الطائرة لكن كان من بجانبي نائم بشكل مستطيل، فور الإقلاع ولم يأكل أي شيء غير بعض السكاكر قبل النوم وكان خائفاً وبدا لي بأنه يخاف ركوب الطائرات، كنت ممسكاً بتلك القطع الترابية المجمعة في خيط صغير وتُسمى [سبحة] وهي من تراب كربلاء المقدسة تفوح منها رائحة الدماء دوماً، وهي هديةٌ من صديق يعزُّ علي أذكر في بعض المرّات كانت لي لحظات عراك مع هذا الإنسان، ولكن صداقتنا أكبر من هذه المهاترات، وكانت كل أذكاري تناجي رب العباد بغفران الذنوب فأنا عبدٌ أذنب في حياته وأرجو شفاعة الآل الكرام وعفو الرب الجبّار، صرتُ الآن قرب مطار صغير يقع في دار السلطان الكريم عليه السلام، وقائد الطائرة يعلن وقت الهبوط ودرجة الحرارة تقارب عشرة درجات مئوية بالطبع لم أفهم تلك اللغة الفارسية التي تحدث بها، ولكني والحمد لله لي بعض المعرفة باللغة الإنجليزية حتى المشوهة التي نطق بها

الـ[كابتن]، حان وقت الهبوط شددت حزام الأمان واعتلى صوت الصلوات من جميع الركاب في آن واحد قالوا [الهم صلي على محمد وآل محمد] وهبطت الطائرة والحمد لله بسلام وأصبح الجميع يقول [الحمد لله على سلامتك] هنا عرفت بأني أصبحت قريباً بمقدار يوم كامل من أرض الغري، نظرت إلى من كان بجنبي وإذا به يصحو من نومه العميق الذي دام لفترة ساعة كاملة تقريباً بدون أي إحساس بالهزات الجوية التي عانيت أنا منها!.

فـي المطـار صُدمـت لصغره وكأنـه غرفتي وليـس بمطار كُتـب عليه مطار [....] الدولي!، كيف يكون هذا مطاراً دولياً..! صغيـرٌ جـداً، لا يهم.. المهـم هو كيفيـة حصولي علـى حقيبتي حيث كان الوضع مأسـاوياً حزيناً فالحقائب كُلها تدور على ذاك الشريط المطاطي الذي يحمل تلك الحقائب المحملة بمختلف الأثقـال!، هنا شـاهدتُ أمـراً غريباً جداً ألا وهـو إنه الحقائب لا تكفـي هـذا الشـريط الدائري الكبيـر فكانت تسـقط لوحدها في منتصف الطريق!، وكأنها عملية انتحارية لتلك الحقائب، ولكن المهـم إننـي وجدت حقيبتـي مع تلـك الحقائـب الضحايا وبدأ الشـباب بالبحـث عن حقائبهم وفـور ما لقينا جميع مسـتلزماتنا التـي شُـحنت في الطائـرة قررنا الخـروج من المطـار ليس لأننا كنـا نريد الخروج.. لأنـه المطار بدأ بإطفاء أنـواره وانتهى وقت عمـل الموظفين فيه!.. سـبحان الله مطارٌ غريب عجيب عشـت فيه ثواني في هذه الرحلة.



شَرف،،

«السلام على سِفْرِ العاشقين..»

فور خروجنا من المطار اشتممت الهواء العليل والبارد بعض الشيء في تلك اللحظات، وركبنا الحافلة للاتجاه إلى منزل كبير نقطن فيه هذه الليلة،.. وصلنا إلى بيت بعد رحلة دامت الساعتين تقريباً أول ليلة من ليالي السفر، كنّا على موعد مع وجبة عشاء طُبخَت على شرف زوّار عليٍ والحسين عليهما السلام وكان صاحب ذاك المنزل يفتخر بأنه كان يخدم هؤلاء الزوّار بكل ما أوتي من قوة هو وابناه اللذان لم يتركا لحظة من اللحظات دون أن يُفكروا بخدمةٍ يُمكن تقديمها للجمع الذي سيكون غداً في أرض المقدسات، وبعدها قررنا التعارف نحن المسافرين جميعاً لكي نتمكن من التواصل بشكل طبيعي مع الجميع وإلى الجميع!، هنا صار الكل يقول اسمه وصار الجميع يعرف هذا ابن من وهذا زوج من وهذا هو جده فلان، شعرت ببعض الألفة التي كنتُ أنشدها بين هذا الجمع المدعو إلى وطن كربلاء وكما يُقال أصبح بيننا بعض الـ[عيش والملح].. فشربنا كوباً من الشاي وبعض الفواكه التي تقدم دوماً في إيران، فهي فخمةٌ ولها طعمٌ

ليسَ له مثيل فهناك الفاكهة للجميع وليست حكراً للأغنياء.

بعدها بدأ الجميع بالشعور ببعض التعب فقد دخل وقت النوم وأصبح الوقت متأخراً على بعض كبار السن الذين معنا في الرحلة فأنا أعتقد إنهم اعتادوا النوم مبكراً في حياتهم ففي تلك اللحظة وضعت لنا [عدّة النوم] المُعدة مسبقاً لاستقبال الزوار وهنا بدأ الزوار بالدخول إلى عالم النوم المريح، وجميعهم يرددون على مسامعنا جميعاً! ناموا جيداً اليوم فأمامنا يومٌ طويل للوصول إلى المكان الذي نقصده للدخول إلى أرض عليٍ والحسين عليه السلام.. ولكن كان لي رأياً آخراً بدأت في الشعور به فور سقوط رأسي على وسادة النوم، بدأ قلبي بالخفقان واللهفة فهو يرغب بالوصول إلى وادي الغري المقدس، فأصبحت حائراً لا النوم يقبلني وافداً ولا أنا أقبل به زائراً فكنتُ نائماً لستُ بنائم بل هائم، أسبح في محيط العشاق الذين تموج بهم المحيطات العظام وتجعلهم يصِلون إلى موطن وصيّ خاتِم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم قبل الانطلاق! هنا صار البعض ممن لا يمكنهم التأقلم مع النوم يتكلمون في أموراً كثيرة ولكن لم أكن أستمع إليهم لا أعلم كيف ذلك! وبعدها بلحظات قليلة أنصّتُّ إلى روعة الأذان، حقاً ذاك الأذان كان له وقعٌ في قلبي فهو أذانٌ من أرض علي بن موسى الرضا عليه السلام، نعم أستجيبَ الدعاء تحت قبة السلطان فإني كنت قبل أسابيعٍ معدودات بين تلك الثلوج المتساقطة وكأنها تُخبرني بأني عاشق المطر والبكاء ولكن لم

أشاهد الثلج المضاء في السماء بنورٍ يشعُّ بياضاً وكم كان جميلاً أن أشاهد ثلجاً له روعةٌ بقرب قبة ثامن الأوصياء وهناك تحت القبة والثلوج وهرب الكثير من البشر إلى البيوت رغبةً ببعض الدفء، كتبتُ إلى السلطان رسالة بعض ما فيها كان.. «أرغب في اللقاء بذبيح كربلاء وروح الوفاء، هل سألقاه قريباً في الحياة، أم سألقاه يوماً ما عند مليك السماء، حقاً تساؤلات أعجز عن إيجاد الإجابات لها الآن، ولي تساؤل آخر سألته وامتلأت أحزان،... كيف هو الجان.. أيزور سيد الأحرار أم كـ أنا وغيري من الأنّات حبيس الدار؟، أطلب الزيارة في الدنيا والآخرة بحق الغريب السلطان»[1]...، وأعتقدُ بأنه [زينب، حكاية الآية] لها يدٌ عظمى في هذه الدعوة الخاصة جداً حيث إن رحلتي في ركب زينب الطهر له أثر كبيرٌ في تغيير مسرى حياتي، وكان الجميع ما بين راكع وساجد لله تعالى وبعدها بدأ بعضهم بقراءة زيارة وراث وبعضهم حفظ دعاء الصباح وبدأ بتسميعه للجميع والأجمل كان دعاء العهد والضرب على الأقدام له نغمة جميلة وكأنهم جنودٌ يترقبون رحمة الرحمن وكانت وجبة الإفطار عبارة عن بعض من الـ[آش] وبعض أنواع الأجبان التي تتميز بها تلك المنطقة مع بعض الخبز الدافئ وأكوابٍ توزعت بشكل جميل وسكبَ بداخلها بعضاً من الشاي الساخن، وبدأ الجميع بتجميع ممتلكاته الخاصة إلا أنا.. فكنت أعتقد بأن حقيبتي إلى الآن في الحافلة التي تُقلنا فلم أجمع غير ثيابي التي كنت ألبَسها وركبت

(١) رسالة كتبتها في مشهد المقدسة.

الحافلـة وعلى أذني سـماعاتي وجهازي يبدأ فـي اختيار قصائد مختلفـة ليبدأ بإدخالها في أذني لتصل إلـى عقلي وقلبي، وكنت منقطعـاً بعـض الشـيء عمـن هُم حولي مـن أصدقاء وسـحُرتُ بجمـال الطبيعيـة الخلابة وبدأت بالإبحار فـي محيط أفكاري.. كيـف سـتكون تلك القبة..؟ كيف سـيكون هنـاك العالـم..؟ هل هـي الأرض التي نعيش عليها.. أم هي أرض من الجنان العُليا.. إهتـزاز الحافلـة قليلاً كان يجعلنـي أدخل في دوامـة النوم قليلاً لكني لم أكن أستسـلم لتلك الحالة فهي كانت ترغب بأن تسـرق مني ثواني لا يمكن تعويضها أبداً..

انطلاق وانطلاق،،

«حيدرٌ، أتيتك وأنت معي..!»

انطلقت مغادراً أرض السلطان وكُلي رغبة في رحلة بكاء، ولكن فور الانطلاق نسيت حقيبتي التي كان من المفترض أن تعينني في تلك الأرجاء فانتظرت ساعةً لأجدد اللقاء بحقيبتي العزيزة هنا أحسست بأنها فُرجت بعد انقباض هنا أحسست بأن رحلة الكرامات بدأت بسرعة!، فأنا لم أقل شيئاً غير [يا علي هل سأصل إليك بلا ثياب تتبرك بك؟] فأتاني خبر عودة الحقيبة إلى موطن يداي وذلك عن طريق [Taxi] يطوف المناطق التي مررنا بها في حوالي ساعة ولكنه كان أسرع منا حيث وصل إلينا في وقت جيد. وعانقت الحقيبة بشوق رغم إنها لم تفارقني إلا للحظات.

فجأة وبعد دقائق قليلة اكتشفت إني أمشي على أرض العراق، عراق عليٍ عراق الحسين.. أرضٍ قيل فيها خيرتُ نفسي بين الجنة والنار ونفسٌ هذه الأرض قال عليها لعينٌ يقولون بأن الله خالق جنة ونار وفيها كذلك شراءٌ لرضا المخلوق وسخط الخالق وكان على أرضها ابن لها قال في مستهزئا في الشعير

كفاية! وأجيب السائل رغم إنه كان فاسق هذه هي أرض العراق، هنـا التقيـت بحماية خاصة كانت لاسـتبعاد الإرهـاب عن قافلة الـركاب الزائريـن والمتجهيـن إلى علي والحسـين عليهما السلام ولكن الطريـق كان مرعبـاً حيـثُ كان غير معبّـد في بدايته وأحسسـت بأننـا نتحرك بجهة المجهول فهذا الطريق [بـرّي] وليس له نهاية أمـام عيناي وبعـد ثواني ظهرت أمامي لقطات لشـبه طريق مُعبّد فعرفت إن هذه المنطقة هي منقطة تمت فيها حربٌ طاحنة عمرها ثمانية سنوات متتالية وسُحقت هذه المنطقة والآن هناك نوع من التجديـد لهـا، ولكنه بطـيء جدا وفـور ما إن حطـت الإطارات مطاطها على الأرض الإسفلتية شعرت بنوع من الارتياح فأخيراً صرت لا أتمايل على الكرسـي الخـاص بي، وفوق وصولنا إلى الطريـق الجديـد المعبّد بشـكل جيد جـداً اتجهـت الحافلة إلى منطقـة سـكنية ودخلنـا بين البيـوت وفي طـرقٌ ضيقـة واتجهنا إلـى أحد بيوت الكرم مركزاً يمسـى «لجنة الهـادي الخيرية» في محافظة البصرة وهناك كانت وجبة الغداء، وأيضاً هي معدة على شرف الزوّار الكرام وهي أشبه بوليمة تُعد في القصور لدى كبار الشخصيات فبدأت هنا بالإحسـاس بقدسية زوّار سلالة الأنبياء عليهم السلام، لا يمكننـي أن أصـف مقـدار الكرم إلا إن من اسـتضافنا هو من سـلالة عُرفت بالكرم والأصالة والكبرياء من سلالة عليٍ والزهراء، هو سيدٌ من الكُرماء.

وكانـت أول صلاة لـيَ في أرض العـزة والإباء، في أرض

«أكـره أن أبدأهـم بالقتال»[1] بلـد المقدسـات والمكرمات، بلد الغدر وفقدان الإحسـاس!، وركبنا حافلـة اللقاء بعد أن أصبحنا مُرتاحيـن بجميع أشـكال الرفاهيـة التي يمكن تقديمها لإنسـان زائر، فأجمل شيء كان هو «تربة وسبحة للصلاة» وقبلها وضوء، بعد ركوبنا لوسـيلة النقل التي بدأت بالشك في إنها مصنوعة من قبـل الإنسـان فأنا أعتقـد بأني كنت أتنقـل بين الأرجاء بالعشـق والحـب والهـوى للقـاء ضجيـع آدم ونـوح، الضارب بسـيفين والطاعـن برُمحين ومـن صلّى القبلتين وهاجـر الهجرتين وبايع البيعتيـن[2]، اسـتمعتُ إلـى كثير مـن القصائد التـي كان يحملها جهـاز الـ Mp3 الذي كنت أحمله معـي في هذه الرحلة فكانت القصيـدة التي تلازمني في الطريق إلى النجف الأشـرف «يا يوم أشـوف أعتابك»[3].. ولا أنسـى أن أشـكر المبدع الكبير «باسـم الكربلائي» الذي بأدائه الراقي كنت أصل إلى مشـاعر دفينة جداً لا يمكن الشعور بها إلا وأنت تسير في الطريق إلى أرض الغري، ولا أنسـى كذلك الشـاعر الأنيق «جابر الكاظمي» الذي بكلماته كنـت أتمكن من ترجمـة الكثير من مشـاعري الخاصة!، بالرغم من إني كتبت الكثير من الكلمات التي خرجت من صميم القلب إلا إن هـذا الإنسـان يطـوع الكلمة لخياله بفضلٍ مـن أهل البيت عليهم السلام، ففي هذه الأثناء كنت مسـافراً أقطع المسافات بالخيال لا

(١) قالها الحسين عليه السلام لمسلم بن عوسجة حينما أراد أن يرمي الأعداء بسهم.

(٢) من خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد.

(٣) قصيدة للشاعر: جابر الكاظمي، الرادود: باسم الكربلائي.

بالأميال وأصل قبل الوصول بساعات.. لا أعلم هل أنا في حلم أم خيال أم واقع، قريباً أكون في ديار الأحباب.



النجف الأشرف،،

«السلام على السماء الباكية..»

وصلت نعم وصلت أيها الأحباب وصلت إلى ديار أمير المؤمنين وسيد الوصيين ووارث علم النبيين وولي رب العالمين ومولاي ومولى المؤمنين أمين الله في أرضه علي بن أبي طالب عليه السلام، لم ألتق إلى الآن بتلك القبة البهية ولم تتشرف عيناي برؤية مكان جسد أمير الكونين، وإنما فقط حلت قدماي على أرضٍ سار عليها عليٌّ الأمير عليه السلام، وللأسف الحرمُ المقدس كان مغلقاً ولا يستقبل الزوار وهنا أصبحت علامات الاستفهام تجول في عقلي وتسرح وتمرح وكأنها في ملعب عملاق الحجم، هل باب علي عليه السلام يغلق في الليل؟! هل إمامُنا الكريم كان لا يزور الفقراء والمساكين في الليل المظلم؟ وكان يغلق بابه الكبير؟ أليس هو قالع الباب الكبير؟ من للفقراء في دياجير الليل..؟.. حقاً تعجبت من منطق النجف المتناقض! باب النجف الأكبر باب علي عليه السلام لا يسمح لزواره أن يزوروه في الليل ويناجون ربهم في صحنه الشريف..! بكيت كثيراً في تلك الليلة، كيف لا أقابل الأمير عليه السلام وأنا أطأ أرض النجف وإلى

الآن لـم أزر لحده المقدس، لكني شـعرت بهيبـة ابن أبي طالب أخ رسول الله الأمين، أحسست بأنه هنا معنا ولم يغادر إلى الآن من النجف الأشـرف، وإنـي على موعد مع لقاء كبيـر غداً فعلي الاسـتعداد بالبـكاء والرغبـة الشـديدة باللقاء، فهنا أيضاً تسـكن الزهـراء في قلب هذا الأميـر عليه السلام فهي مخفية اللحد، لا يعرف مكانهـا إلا من لامـس تلك الأضلاع وقت الدفـن بيديه، وأبناؤه البررة العارفين، اللقاء قد يكون بعيد المنال ففي تلك الليلة كنت غير قادرٍ على النوم، فأنا هنا.. في النجف الأشرف.

حان اللقاء،،

« الآن هو وقت السؤال.. »

في لحظة سماعي لصوت الأذان وركوب الترددات الصوتية أمواج الهواء لتتنقل بين مسامعنا انطلقتُ مهرولاً لأغتسل غسل الزيارة وكان الغُسل رغم استعجالي بطيئاً وكنت أشعر بالثواني وهي تُسرق مني وتؤخذ إلى عالم الماضي وأنا أعيش الحاضر بعدها بدأت بلبس الثياب الطاهرة التي ستلتقي معي بالأمير عليه السلام وانطلقت راكضاً إلى الحرم مع أحد الشباب المؤمنين وكلي لهفة لروية تلك البقة المباركة فرأيت شيئاً لم أعهده في السابق رأيت قبة علي عليه السلام تعلو السماء والطيور فوقها تنظر إلي وتناجي الله بالتكبير والتهليل ولست أعلم ما بقية كلام تلك الطيور هنا وقبل الدخول إلى الصحن المبارك أصبحت الخطوات ثقيلة جداً وشعرت بتثاقل الزمان وشد الأرض لي وتقبيلها قدماي وكأنها تقول هنيئاً هنيئاً، هنا توقف الزمان وكانت لحظة اللقاء بالصحن المبارك فرأيتُ صحنا صغيرا مقارنة مع صحون قبر الإمام الرضا عليه السلام، ولكني رأيت هنا عالمٌ كبير وعطفٌ من الله كبير وقبل الوقوف لأنظر إلى القبر

الشريف أحسست بالهواء العليل يطبع بعض القُبلات على أجزاء جسدي النحيل وما إن بدأت بقراءة إذن الدخول وإذا بالرعشة تأخذ مني مأخذها المهيب فأنا بعد ثواني ألتقي بالحبيب الأولي مولاي علي ذاك الذي أعرف إني عاهدته منذ عالم الذر وفي عالم الأرحام جددت له الولاء وها أنا مجددا في عالم الحياة أجدد له البيعة والإقرار، هنا وقفت واستجمعت كل قواي لأقبل تلك العتبة التي تغنى في الشعراء ونزلت على ركبتاي جاثياً وأهبطت رأسي بكل بطئ وأحسست بالحنان الكبير من الأب الكبير وقبّلت العتبة الطاهرة بقبلة سافرت فيها فوراً إلى الحروب التي شهدها أمير المؤمنين عليه السلام وهنا رأيت علياً يقتل مرحباً ويشطره نصفين والخيال ينتقل بسرعة البرق ليشاهد الباب الكبير الذي اقتلعه علي عليه السلام ليُنصرَ المسلمين وها هو يقتل العامري وأراه يحكم بالعدل بين العالمين ورفعت رأسي من تلك العتبة فقط لتشهد لي يوماً سأحتاج فيه إلى تجميع تلك القُبل الموزعات في أرض الله لأقول: هذا الطرف طُبع على مكان مقدس، فكيف تمسه النار..؟ والآن صِرت أشرع في الطواف حول قبر يعسوب المؤمنين وهذه الدقائق لم تكن من دقائق أهل الأرض لم أشعر بأي إنسان كان يمر بمقربة من دمعي أو حتى يضع يديه على كتفي ليمر أو ينظر إلى وجهي! فقد أصبحت أنا وعلي عليه السلام أنا ساجد هناك أتكلم بطريقة الطلاسم فلا يفهمني أحد مِن مَن كان يقف بجانبي وكأني ساحر يخاطب روحاً ولكني أقسم بأني كنت أشعر بطيف علي عليه السلام يخاطب الجميع ويرد السلام

علـى الجميع ويبكي مع الجميع فـور ما يذكرون ابنه الذبيح فهو أيضاً قريباً سيشـد الرحال مع موكب البهاء إلى كربلاء هنا كانت الدموع سـيدة الموقف وهنـا طُرح في عقلي سـؤال واحد « أين قبـر مولاتي فاطمة؟ » فصرت أنحب بطريقة لازالت ترافقني في عقلـي وقلبـي لم أكن أرغب فـي التوقع وجسـمي صار يرتجف بطريقة جعلتني لا أعرف هل أنا واقفٌ أم أنا أطير تحت هذه القبة المباركة أم أنا جالس دخلت إلى ما تحت هذا الشـباك وتعفرت بذاك التراب، وبعدها بثواني معدودات قلت وبصوتٍ سمعه كل من كان بالحرم.. «شـلون أنسـى فاطمة وكسـر الضلع؟»[1]، هنا بكـى كل مـن كان حولي مـن زوار متعلقين بذاك الطـود العظيم وكانـت هذه الكلمـة ذو صـدى روحاني جعل الجميع يتسـاءل معي كيف ننسـاها يا علي..؟ فور أن تفكرت وإذا بنفسـي تحت القبة الطاهرة أحسسـت بالرسـل والأنبياء وأحسست بالملائكة والأتقياء كلها تنادي وتندب معي وتبكي وتقول « علي.. علي.. خير ولي »، وكانت هناك لي رغبة كبيرة في أن أسأل المولى إمام المتقين عليه السلام حول كيف إنه يجيبني ويجيب كل من هنا من زوّار وأحباب، ولم يجب تلك الطفلة الصغيرة في أرض البلاء؟! ولم يمحـي الأعداء في تلك البقـاع، وأتاني جواباً فـي نفس اللحظة بأنه أمر إلهي وقدر مقدور وكتاب مكتوب، فكان صمتي أبلغ من كلماتي، ولكن إلى الآن لم أستمع إلى جواب لسؤالي حول «قبر فاطمة أين هو الآن؟» وكتبتُ هناك..

(١) من قصيدة للشاعر: نصر السماك الكربلائي: للرادود: باسم الكربلائي.

وتم اللقاء..

علي أبو المحراب..

سيف الإسلام..

أسد الله الغالب..

ليثٌ غلبَ كل غالب..

آه..

كم الشكوى هنا لذيذة..

كم البلوى هنا ضعيفة..

فعلي..

قاتل الهم والبلوى..

ومحرر الإنسان من الشكوى..

لقاءٌ فيه ذابت الآهات..

وسبّحت فيه المناجاة..

وأصبحت كل النداءات..

واعلياه..

بعد ما خُطّت هذه الكلمات أحسست بقلمي يبكي وينوح

ويقـول.. يـا علي يـا سـيد المحراب، كيـف قتلـوك..؟ ودفتري أصبحـت لديـه رغبـة في معانقـة ذاك الشـباك فلم أمنعـه أبداً بل وقفـت أمام القبر العمـلاق وألصقت الدفتر والقلم فهم لهم حقٌّ عليّ وهم من اختار الزيارة وبعدها حان موعد خروجي من تلك الجنـة، رغم إني لم أكن راغباً في الخروج ولكن الشـباب الذين يتجولـون معي في نفس الأرجاء وعدوني خيراً بأننا سـنكون في أماكـن أخرى فيها ذكرى علي عليه السلام وطبعاتُ من قدمه المباركة وبعضُ الأماكن التي لامسـت يداه، وأخبرني الأصدقاء بأنه فقط كل ما عليّ هو أن أتجه لكي أنال بعضاً من الطاقة في وجبة غداء، ولكني شـعرت بأنها فقط لكـي أتمكن من المسـير ومتابعة هذه اللحظـات بدون انقطاع فهي تتصل لوحدها وتترك العقل يسـبح في محيطها لوحدها.

عالم علي عليه السلام ،،

«هو عالم مليء بالآهات والزفرات..»

كان يوماً حافلاً بالمقدسات والديار التي سكن فيها أول من آمن برسول رب العالمين عليه السلام، فأول الطريق كنا بقرب قبر شخصية لها وزنها والسبب هو إنها كانت ملازمة لحجة الله البالغة، هذه الشخصية كانت كميل بن زياد النخعي، صاحب النقل لأجمل الأدعية التي نقلت لنا عن لسان سفير الله في خلقه عليه السلام، وهذا مقطع من الدعاء العظيم « يا إلهي وربي وسيدي ومولاي لأي الأمور إليكَ أشكو ولما منها أضج وأبكي لأليم العذاب وشدته، أم لطول البلاء ومدته، فلئن صيرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلائك وفرقت بيني وبين أحبابك وأوليائك، فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك وهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك أم كيف أسكن النار ورجائي عفوك فبعزتك يا سيدي ومولاي أقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لأضجن إليك بين أهلها ضجيج الآملين ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين ولأبكين عليك بكاء الفاقدين ولأنادينك

أيـن كنت يا ولي المؤمنين يا غاية آمـال العارفين»[1]، عندها قرر الجمع الرحيل إلى صحابي آخر من أصحاب أبا الحسـن عليه السلام وأنـا فـي الحافلة كنت أفكـر من أيضاً دُفـن هنا في هـذه الديار، فعلـي عاش هنا كثيراً وقتل هنا فمن طبع هذه الأرض إن غدرت بأحـد من بني آدم تبدأ وتبطش غيره من الأحباب والخِلان وذاك الصحابـي الجليل الذي كنا ننشـده بعد كميل بن زيـاد كان ميثم التمّـار الـذي أعتقـه أبي الأئمة عليهم السلام فـي صغره وقُتـل ميثم في الدفاع عن آل الرسول وعشقه لأمير المؤمنين، فهو كان مسجوناً في الكوفة وبعدها صلب بسـبب حبه للعترة الطاهرة ولـم يُسمح له بنصرة الحسين بن علي عليه السلام، حقاً له من الأثر الكبير في حياة الكثير من البشـر وهو صاحب النخلة الوفية ووفاءه الكبير لتلك النخلة، وشـعرت بأنه ممن سرى حب علي عليه السلام في دمه بدون أن يخالـط دمه حب كذّاب مختال فاسـق وصلب هناك في تلك البقاع وعانق جسمه شجرته الوفية.

---

(١) مقطع من دعاء كميل بن زياد: الدعاء والزيارة: سيد محمد الشيرازي: ص ١١٩

بيت المعجزات والأطهار،،

«لست أدري، أأنا أقف في بيت الأفراح أم هو وطن الأحزان»

هو بيت الحسن والحسين وزينب الحوراء عليهم السلام هو بيت ترعرع فيها الأئمة الأطهار هو بيت الولاية وبيت السلامة، قبل الدخول لهذا البيت شعرت بإحساس يسري في دمي، بأني الآن سأكون في بيت نام فيه قاصم الكفرة ولم أكن أعرف ماذا سأشاهد في هذا المنزل غير ذلك! ولكن فور الدخول إلى هذا المنزل المبارك عرفت بأني سأشاهد شيئاً يبكيني كثيراً، ولكن ما هو لا أعرف! ولكنّي شعرت بأني سأقابل أمراً مفجعاً! دخلت وإذا بطريقة البيوت القديمة العربية وأخص بها بيوت الكوفة، فكانت الممرات في البيت ضيقة قليلاً والارتفاع مناسب وهناك فتحات لدخول الهواء العليل والنسيم منها، ولكن فور وصولي إلى مكان مكتظ بجموع البشر وأرى الوجوه شاحبة تلونت بلون البكاء حاولت أن أشاهد ماذا في هذه الغرفة التي يقف الكثير منهم أمامها ويبكي!، فوقفت في طابورٍ قصير ودخلت ببطيءٍ شديد وسمعت أحدهم يبكي ويخاطب أمير المؤمنين

عليه السلام عرفـت بأني قـرب أمر حزيـن.. دخلت وفجأة بـرق أمامَ عينـاي مكانٌ يكفي لنوم إنسـان وإذا بـ[المغتسـل] الذي غُسـل عليـه الناطـق بحجة اللـه علـي عليه السلام، هنا غُسّـل الأمير عليه السلام، هنا أصبح بدنه الطاهر والحسـن والحسين عليه السلام يمسحون دماه من رأسـه الشـريف، هنا فاضـت روح كافل الأيتـام والفقراء هنا كانت لحظات أصبح الأيتام أيتاماً وشـعر الفقراء بالفقد والجوع والعطـش هنا كُفن خير الأوصياء عليه السلام شـعرت بالغربة في هذا المـكان فمن هنا حُمل عليٌّ عليه السلام على الأكتاف ما بين الحسـن والحسـين والملائكـة الكـرام وخرجـوا وهـم يسـتمعون نـداء تهدمـت واللـه أركان الهدى وانفصمت العـروة الوثقى يُردد في الفضـاء وبكت الروح القدس،.. حقاً صـرت خائفاً كيف يعيش الكثيـر من البشـر فـي هذه الأنحـاء ألا يخافـون أن تصيبهم لعنة أميـر الأمراء! وأهل هذه الديار ممن غدروا بجميع من أتاهم من الرسـل والأوصيـاء!، حقاً أمرهم عجيب غريـب.. فعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبناؤه الكرام عاشوا في هذا المكان.

و هناك شاهدت الكثير من الأمور الأخرى فطفت في ذلك المنزل لأرى ما به من أشـياء فشاهدت مكاناً وكأنه مكتبة صغيرة تعانق الحيطان وغرفاً صغيرة للنوم وكان عددها ستة غرف مربعة الشـكل ولها بعـض فتحات الهواء الصغيرة التي فور ما شـعرت بالبكاء سـرى إلى عيني شـعرت باختناق غريب، فتفكرت كثيراً كيف عاشت زينبٌ هنا وبكت كثيراً أمها الزهراء..؟.

بعدها انتقلت إلى بئر أعتقد إنه بئر حفره علي بن أبي طالب عليه السلام ليرتوي منه الأبناء والأحباب وهنا تبركت بماء البئر وحملت قارورة من الماء لأهديه أمي العزيزة فهي تعرف معنى أن يكون الماء من بئر حفره أمير الأمراء عليه السلام.

و عند لحظات الوداع لهذا البيت شعرت بإحساس يفوق الوصف فهو إحساس مولعٍ بالعشق، أحسست بأني لامست مكاناً كان يعيش فيه المولى عليه السلام ويمشي ويخاطب أبناءه وكان يخرج منه ليلاً ليطعم الفقراء والمساكين ويعود ليتهجد ويذكر الله بأرق وأعذب المناجاة، صرت الآن بعيداً عن هذا المكان لأنتقل إلى مكان آخر فيها ذكريات الكرار.

أول الضحايا،،

«مسلمٌ إليك وإلى دماءك.. السلام»

لـم تبـدأ رحلة كربلاء إلـى الآن وإنما فقط هـي بداية خط موكب النبـلاء، دخلت في البداية قبراً كتب عليه «مرقد هاني بن عـروة»، فعرفت إني الآن في مكان قريـبٍ جداً وبل أنا في مكان دفـن «مسـلم بن عقيـل عَلَيْهِ السَّلَامُ» فبـدأت الكلام وقلـت.. يا هاني كيـف غدركم أهل الكوفة..؟ ألـم يرسـلوا الكتب والرسـائل..؟ أهـي الأمـوال أم هـي الرغبـة الوحشـية فـي قتـل الأبريـاء..؟، فأجابنـي هاني بأن: اتجه إلى مسـلم، وهنا دخلت إلى مسـلم بن عقيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنصّت إلى صوت الغدر والدماء، واستمعت إلى صوت سـحل الغريب الوحيد مسـلم بن عقيل بيـن أزقة الكوفة وحواريهـا، واكتملـت الحكايـة بأنـي نظـرت إلى ارتفـاع مكان «قصـر الإمـارة» السـابق وعلـوه عـن الأرض فبـدأت الكروب والخطوب تتجلى في عيني، هل مسـلم أسقطوه من هذا العلو!، أصبحـت أنظر الموقف بعيني وقلبي يرسـم لي المشـاهد، فهذا مسـلم يصرخ يا حسـين، والأعـداء يصرخون اقذفـوه من أعلى مكان إلى الأرض لنطفئ شـيئاً من حقدنا الدفين، هنا دخلت في

دوامـة الزمان وأصبحت أعيش [الزمكان[1]]، رسـول الحسـين عليه السلام ملقـى علـى قارعـة الطريق بلا تكفيـن ولا تغسـيل وكأنه يقـول: يا حسـين إني أتأسـى بمصابك الجليل، في هـذه الثواني سـافرت بسـرعة كبيـرة إلى موكب يسـير فـي الصحراء مـع ابنة الزهراء ونظرت ابنة مسـلم تسأل زينب الكبرى عليها السلام، عمة أين قبر والدي.. فهو ليس في كربلاء؟، وكأن هذا المشهد يصرخ في وجه التأريخ.. لماذا قتلتم مسـلم أيها الغدّارين؟ ألم يكن رسول الحسين عليه السلام..؟.

---

(١) هو تعبير يستخدم للتعبير عن الزمان والمكان في آن واحد.



سيف الإباء،،

«أنا بانتظار صاحب الهيبة الغرّاء..»

و هنـا حاولت الخروج من عند رسـول الحسـين المقتول فـي أرض الكوفة، لكنّي شـعرت بانجذاب إلى مـكان في زاوية المـكان رأيت بعـض الناس يتبركون فـي ذاك الشُـباك المترامي الأطـراف فرغبـت في معرفـة ما هذا المـكان الـذي جذبني إليه دون أدنـى معرفـة به.. فور وصولي إليه قـرأت «هذا قبر المختار الثقفـي ﷺ» فقلـت رحم اللـه المختار، الذي قَتـل القتلة وأباد الظلمة وسـحق المردة أبناء البغايا فهو حز رأس شـمراً لعنه الله وحرق رأسـه في ماء سـاخن حتى سُـلخ جلد الملعون عن رأسه وأوطأ جسم اللعين الخيول وأيضاً قطع يدا حرملة بن كاهل لعنه اللـه وقطع رجلاه وحرقـه ليصبح رماد وقتل عمر بن سـعد لعنه اللـه وألحق ابنه بـه بعد أن تمادى ورغب في الثـأر لوالدة القاتل وأرسـل رأس عمر بن سعد (لع) إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وهذا جزءٌ من أيام ثورة المختار[1]، وأحسست بالفخر والاعتزاز

---

(١) يمكنك مراجعة المزيد عن ثورة المختار في كتاب «ما بعد كربلاء»: «للشيخ محمود قانصو.

رغم إنه لم يكن انتقاما شـاملاً لقتلة الحسين عليه السلام فهذا الانتقام الجزئي من القتلة لم يُشبع الدين إلى الآن فقتلُ الحسين عليه السلام الانتقام له سيكون مع ارتفاع راية الحق والإباء وظهور مهدي هذه الأمة عجل الله تعالى فرجه الشريف رؤوسنا لتراب مقدمه الفداء بعد طول انتظار وإني على يقينٌ بأنه سيدمر الأعداء ويرفع الحق ويصدح الأذان بالنداء، وذلك بإحقاق جميع الحقوق وملئ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً وتصبح خارطة العالم مليئة بألوية الحق والعدل ويرفع صوت [البيعة لله] في جميع الأرض ويصل صداه إلى السماء فثورة الأتقياء لم تُخمد منذ انطلاقها من كربلاء.



مسجد الكوفة،،

«مسجدٌ له هيبة المحراب!»

مسجدٌ يعتبر روضة من رياض الجنة كما روي الإمام الصادق عليه السلام: «مسجد كوفان روضة من رياض الجنة صلى فيه ألف نبي وسبعون نبيا»(1) فور دخولي المسجد نظرت إلى مقام النبي إبراهيم عليه السلام وهو المكان الذي صلّى فيه إبراهيم وهناك دكة القضاء وهي في السابق كان هناك دكة مرتفعة يجلس عليها أمير الكونين عليه السلام ليحكم بالعدل من هناك بين الناس، وهناك أيضاً بيت الطشت وهي قضية معروفة حول امرأة حملت من غير زوج أراد أهلها قتلها ثم احتكموا إلى الإمام عليه السلام ثم أمر بطشت مملوء من الحمأ(2) فخرج من بطنها علقٌ وتبن!(3)، وأثناء تجولي رأيت مكاناً مكتوب عليه مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألت من كان بجانبي ما هذا المقام فقال لي: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما عرج به إلى السماء وهبط منها نزل هنا وصلى ركعتين.. فبحثت عن

(1) الدعاء والزيارة: السيد محمد الشيرازي: ص ٦٨٣.

(2) الطين الأسود المنتن – لسان العرب.

(3) نفس المصدر السابق.

مصدراً بعد عودتي إلى الفندق فوجدت نفس ما قاله لي الرجل في كتاب الدعاء والزيارة، وفي تلك البقعة أيضاً مقام

آدم عليه السلام ومكان توبته التي قبلت منه، وهناك من المقامات أيضاً مقام جبرائيل ومقام الإمام الحسن عليه السلام ومقام الإمام زين العابدين عليه السلام ومقام نوح عليه السلام.. وبعدها حان موعد مع البكاء مجدداً... فور دخولي مكان رأيت محراباً عرفت هنا ضرب أميري وأمير كل موحد وموحدة علي بن أبي طالب عليه السلام على هامته وسالت الدماء على يد أشقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله)، وأنا أتذكر ما جرى ذكرت هذه الكلمات كتبتها في السابق ولكنها حضرت في المكان معي..

أمطري أغبري غيّمي يا سماء

احمّري إصفّري ضجّي يا دنيا

فلنبكي فلنلطم فلنُطبر يا عالم

غيل عليٌ في المحراب

أصابوا هامة الباب

قتلوا ركن الصلاة

من للأيتام في الفلاة

الحسن يَدمعُ الإمام

الحسين يُحزِنُ الهُمام

زينب تبكي القرآن

أم كلثوم تلطم الأذان

الوجودُ طُبر الآن

قالع الباب ينام؟

سمعوه كل الأنام

«فزت ورب الكعبة»

قالها وليد الكعبة

عظم الإله لكم الأجر

في ليلة القدر

مات ديّان الدين

وخير المؤمنين

وسيد الصديقين

والصفوة من سلالة النبيين

عظم الإله لكم الأجر

في ليلة القدر

.. آه من ظلم الإنسان لنفسه، فهنا قتل عليٌّ بسيف الشيطان وبكى القمر والبحار وكل الشطآن.. في هذه اللحظات دخلت زينب عليها السلام في عقلي وأصبحت أنظر لقطات من البيت ولحظة خروج علي عليه السلام عليه السلام والإوز وكلماته الشجية حول الموت

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

هي كلمات تركها لنا المولى أمير المؤمنين عليه السلام لتُعرّف الإنسان بأن الموت قادمٌ قادم لا محالة من ذلك ولو هرب الإنسان إلى أي مكان، فهذا علي عليه السلام سيد المحراب وخير الأنام من بعد رسول الأنام صلى الله عليه وآله وسلم وهذا محرابه مصبوغ بلون الدماء.

مسجد السهلة،،

«آه آه على ضلع الزهراء..»

السلام على صاحب العصر والزمان، في هذا المسجد المبارك هناك روايات كثيرة وعديدة حول فضل الصلاة فيه صلاة المغرب وصلاة العشاء، وله آثار عجيبة ويقال بأن من يزور هذا المسجد المبارك أربعين ليلة أربعاء كان ممن التقى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فوصلنا هذا المسجد للأسف ليلاً أي بعد صلاة المغرب والعشاء، ولكن كان لنا وقفة مع [نشيده] خاصة بالمجموعة لصاحب الزمان منها..

يمتى أزورك.. يا أبا صالح

أقبل جفوفك.. يا أبا صالح

يعلن ظهورك.. يا أبا صالح

فكان أمراً رائعاً أن نناجي شريك القرآن ونحن في مسجد تروي الروايات عنه إنه كريم عظيم وله من الشأن الكثير، وفور دخولنا إلى ذاك المكان المقدس، وصلاتنا قرب مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف كان معنا شيخاً من أهالي منطقة البصرة مرافقاً لنا في

الرحلة، وما إن شرع هذا الشيخ بقراءة بعض من مصائب أهل البيت عليهم السلام وذكر الزهراء عليها السلام وكيف كُسر ضلعها الشريف وكيف صار نغم الحزن مرتفعاً بعد يوم الهجوم على الدار.. صرنا في ذلك المجلس كالموج المتلاطم الذي لا يمكن إيقاف هيجانه وأصبح الكون يموج معنا في ذلك البركان وفي تلك اللحظات مع الضجيج والبكاء والنحيب اعتلت أمامي فكرة واحدة وبدأت تظهر ملامحها ببطء وترّوي.. متى.. تـــ.. ــظهر.. يــــ..ــا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.. لــ..ــنأخذ.. ثــأر ضلع الزهراء عليها السلام، هو سؤال وضعني في حالة دوامة عظيمة وأخذتني الرجفة في تلك اللحظات وبدأت بالاختناق، وصرت مصراً على معرفة وقت ظهور صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لنثأر من قتلة أمه الزهراء عليها السلام.. فما إن حاولت الهدوء وإذا بالناعي يقول..

الله يا حامي الشريعة	أتقر وهي كذا مروعه
ومقارع تحت القنا	يلقى الردى منه قريعه
مات التصبر بانتظا	رك أيها المحيي الشريعة
فنهض فما أبقى التحمل	غير أحشاء جزوعه
قد مزقت ثوب الأسى	وشكت لوصالها القطيعة
فالسيف أن به شفاء	قلوب شيعتك الوجيعة
أترى تجيء فجيعة	بأمض من تلك الفجيعه
حيث الحسين على الثرى	خيل العدى طحنت ضلوعه
قتلته آل أمية	ظام إلى جنب الشريعة
ورضيعه بدم الوريد	مخضب فاطلب رضيعه

يـــا غـــيرة الله اهـتـفـي بـحـمـيـة الـــديـــن المـنـيـعـة
وضبا انتقامك جــردي لـطـلا ذوي الـبـغـي التليعه
ودعـــي جـنـــود الله تملأ هـــذه الأرض الـوسـيـعـه
وسأصطلي حتى الرضيع لآل حـــرب والـرضـيـعـه
مــا ذنــب أهــل البيت حــ ــتى منهم أخـلـوا ربـوعـه

وهــي قصيـدة للأديب السـيد حيـدر الحلي، وهنـا أصبح الجمـع ما بين صارخٍ وباكي ومعانقٌ لشُـباك مقام صلاة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وكل سـابحٍ في بحره وخليجـه وكأن الجميع أصبوا يهتفون معي وأنا ملتصق بحائط المسـجد رافضٌ لأي مفهوم من مفاهيم الهدوء وصرت أنادي وينادي الجمع معي يا حسـين.. يا حسين.. يا حسين.. يا حسين، وحاولت في تلك الدقائق التفكير فـي الكثير من الأمور منها، أين فاطمـة عليها السلام الآن؟ هل هي في هذا المجلس معنا أم هي في النجف الأشـرف تنتظر مرافقة علي عليه السلام لهـا إلى أرض إبنها كربلاء..؟ حقـاً صرت محتاراً وعيني ملؤهـا البـكاء.. في لحظة ما بين تلك اللحظـات التي صرنا فيها نطيرُ إلى أراضي المدينة وكربلاء مسكت قلمي وكتبت:

أيها الغائب المبجل..

أيها السر المؤيد..

السلام على الولي المسدد..

يا صاحب الزمان..

في قلبي ثارات..

فقالع الباب مات..

و كسروا ضلع الآهات..

يا ابن النبلاء..

أسألك ثارات عاشوراء..

حسينٌ والحوراء..

و أخيهم ذو الكف المعطاء..

متى تعود..؟

ليكون اللقاء..

بعدها بدأنا بالانسحاب من المسجد لأنه قد تقرر إغلاقه فحضورنا تأخر، وما إن خرجت حتى رأيت مقاماً للإمام الصادق عليه السلام ومقاماً آخر للإمام زين العابدين عليه السلام وهناك مقاماً آخر صلى فيه الخضر عليه السلام يُقال إنه كان مكان بيت نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وهنا بدأ الجميع بالخروج ليصل إلى الحافلة والأعين حمراء ومتشبعة من مناظر الدماء التي سالت في العصور السابقة وساد الصمت في تلك اللحظات.

السلامُ،،

«على ساكني وادي السلام»

السلام على أهل لا إله إلا الله، مقبرة عملاقة تضم في طياتها الكثير من الموتى، ومنهم النبي هود ﷺ والنبي صالح ﷺ اللذان دفنا هنا في هذه المقبرة، وتعد هذه المقبرة أكبر مقبرة في العالم كله فهي عبارة عن قطعة كبيرة جداً من الأرض تقع بمقربة من قبر أمير المؤمنين ﷺ، وهذه الأرض لها الكثير من الروايات التي تقول بأنها قطعة من قطع جنة عدن.

وهذه هي إحدى الروايات التي قرأتها في حق وادي السلام..

«فقد رُوِيَ عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ إِلَى الظَّهْرِ فَوَقَفَ بِوَادِي السَّلَام كَأَنَّهُ مُخَاطِبٌ لِأَقْوَام، فَقُمْتُ بِقِيَامِهِ حَتَّى أَعْيَيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ حَتَّى نَالَنِي مِثْلُ مَا نَالَنِي أَوَّلًا، ثُمَّ جَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ، ثُمَّ قُمْتُ وَ جَمَعْتُ رِدَائِي.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ مِنْ طُولِ

الْقِيَامِ، فَرَاحَةَ سَاعَةٍ، ثُمَّ طَرَحْتُ الرِّدَاءَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ لِي: «يَا حَبَّةُ إِنْ هُوَ إِلَّا مُحَادَثَةُ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤَانَسَتُهُ».

قَالَ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ؟!

قَالَ: «نَعَمْ، وَ لَوْ كُشِفَ لَكَ لَرَأَيْتَهُمْ حَلَقاً حَلَقاً مُحْتَبِينَ يَتَحَادَثُونَ».

فَقُلْتُ: أَجْسَامٌ أَمْ أَرْوَاحٌ؟

فَقَالَ: أَرْوَاحٌ، وَ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ فِي بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الْأَرْضِ إِلَّا قِيلَ لِرُوحِهِ الْحَقِي بِوَادِي السَّلَامِ، وَ إِنَّهَا لَبُقْعَةٌ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ»[1].

وهناك الكثير من الروايات الأخرى التي تدل على هذا المضمون، والأمر العجيب حقاً في هذه المقبرة بأنك قد لا تتمكن من إيجاد الأشخاص الذين ماتوا وهم من أهلك، ولكن سيجدهم لأجلك [الدّفان] الذي يدفن الموتى في المقبرة فهو على علم بالأموات وأهليهم، ويعرف كل مكان في هذه المقبرة العملاقة وفقط كل ما عليك هو أن تخبره بإسم أبيك أو جدك وسيعرف من أنت وإن كان لكم قبراً في هذه المقبرة!.

---

(١) الكافي: ٣ / ٢٤٣، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.

إلى اللقاء أيها الصراط،،

«الوداع.. الوداع.. أيها اللقاء!»

الليلة الأخيرة بقرب سيد الأوصياء عليه السلام ولم تكن كباقي الليالي فهي لحظات وفراق يدمي القلب فهذا زوج الزهراء سأبتعد عنه اليوم وأسأل المولى أن لا تكون الأخيرة فكان الوداع فجراً مع أنغام العصافير وأشجان المساء الذي سيختفي ويغزوه الصباح ولن يترك من خيوطه حتى خيط سواد، فدخلت إلى الحضرة الشريفة وأنا أصرخ بشكل مجنون اللهم لا تجعله آخر العهد مني وقبلت تلك العتبة الطاهرة وكأنها خاطبتني وقالت هنيئا مريئاً فأنت قريباً من زوّار الجنة، والتصقت بأحد الأبواب وصرتُ أنادي المولى أمير الكونين عليه السلام كيف ترضى..؟ زينب تسبى..! في هذه اللحظات وجدت نفسي معلقاً على شباك يبكي كربلاء ويناغيني بتغريدٍ حزين سأكون معكم أيها الأحباب هنا استمعت إلى صوت اخترق الجدران وأصمَّ الآذان وكأنه جبرائيل وميكائيل يخاطبون الأمير.. أيها العظيم إن الموكب النوراني استعد للرحيل فهذا أخيك الرسول الأمين ينادي لنرحل ونصيرُ إلى قبر ابنيَ العزيز، لحظة التصاق أطراف فمي بذاك

الشباك المطهر شعرت بقبلة عانقتني وكأني تخبرني.. إطبع هذه القُبلـة هنـاك أيضاً على أرض طحنت فيها الأجسـاد، فكانت لي لحظـات مناجاة مع رب السـماء وبعدها خرجت لأعطي لغيري المجال وكتبت في الصحن المقدس..

وأخيراً..

عانقت شُباك الطود العظيم..

وسافرت عبر العصور..

وأخبرني أيضاً ذاك العصفور..

تَعال أيها السفير..

لتُقبل قبر والد العفير..

نعم كتبت في السابق..

«السلام على السر الكبير»..

و أنا أمشي على مكان مشى فيه الأمير..

آه كم أنت قاتلة..

أيتها السيوف الظالمة..

ابنة علي غير نائمة..

وعليٌّ قتل في النجف..

بيد الشقي القاتلة..

بحب النائم شجاعةً في السرير..

و صاحب ليلة الهرير..

ومن ابنه ذبيح..

أتوجه غداً مع المسير..

إلى قبلة العاشقين..

ونور عقول العارفين..

وضياء السالكين..

ووالد زين العابدين..

والقتيل من سلالة ياسين..

نور عينيّ وحبيب قلبي..

سيدي أبي عبدالله الحسين عليه السلام..

إليك يا من سباياهُ سيقت في البراري

و رأسه أدير في أوج العوالي

إليكَ يا حسين أشدُّ رحالي..

وأركبُ ظهور آمالي..

أمّا الآن أيها الأمير..

أمّا الآن فإنني ماضٍ إلى كربلاء..

إلى حُسينِك المظلوم..

فإلى لقاء ليس ببعيد..

فإنَّني بقربك سعيد..

وبعدها أصبحت الأفكار كلها تقول بأنيَّ مُودّعٌ هذا الأمير عليه السلام فأصبح لزاماً عليَّ أن أتكلم مع الإمام عليه السلام بطريقة المودع الراغب في العودة إلى هذا القصر العملاق، فقلت: «اللهم لا تجعله آخر العهد منَّا»، وخرجت ووجهي مستقبلٌ ذلك الشُباك الذي لم أرَ له مثيلاً قط وقبلت تلك العتبة المقدسة.. صرت فجأة خارج النطاق، وبعيداً عن مفاهيم الحياة.. إنَّني الآن سأصير إلى كربلاء!، بلا خوف ولا عناء.. فأنا على يقينٍ بأنَّ معي علياً والزهراء والملائكة والأنبياء عليهم السلام.

العشق والمسير،،

«عرفتُ أنَّ يـوم الأربعين، هو يومُ تجديدِ العهدِ مع الحسين»

بعد ثوانٍ قليلةٍ من وداع الأمير، تجهزت للرحلة الأكبر في العالم وهي التي تسـير فيها الملايين من البشر على الأقدام ومن مختلـف البقاع..! تناولت وجبـة الإفطار وأنا على أمل أن يكون المسير ذا روحانية كبيرة ذلك لأنّه مسيرٌ إلى سيد الشهداء عليه السلام.. الآن أصبحت مستعداً للرحيل إلى تلك الأرض المقدسة.

انطلقـت المواكـب قبلنـا بيـوم كامـل فأصبح لزامـاً علينا أن نقطع مسـافة أربعين كيلـو متراً بالسـيارة والأربعين كيلو متراً المتبقية سيراً على الأقدام للوصول إلى أرض كربلاء، إنّني الآن في سـيارة صغيرة مُجتمع مع الأصدقاء في الرحلة وأسـتمع إلى كلمات قصيدة «أخاف من أعوفك بعد ما أشـوفك» وأنا أرتجف وقـد شـعرتُ أنّ من كان بجانبي قد أحـسَّ بهيبة الموقف ففضَّل الصمـت قليلاً وكانت حالـة الترقب لديه كبيرة لِمَا سـتؤول إليه حالة هذا الفتى الذي بات من الواضح بأنّه مجنونٌ بعشق الحسين، بعدها كان لسائق السيارة رأي آخر فلقد أدار الـ[كاسيت] فـدخل

في مسـامعي صوت الرادود «حمزة الصغير» وهو يقول: «سدوا الماي الماي.. يا ضوا عيوني» وأنا أطير كطائر مكسـور الجناح، إلـى ذلك النهر الذي منـع عن آل البيت وأنظره وهو خجلٌ يبكي ويقـول: «ألا لعنة الله على أعداء أهل بيت النبوة».. في لحظة ما دخـل طيفٌ إلى الحافلة التي كنت جالسـاً فيها وكان لونه أسـودَ مُحمَـراً وهـو ينادي «لـو قطعـوا أرجلنـا واليدين، نأتيـك زحفاً سـيدي يا حسـين»، وإذا بخبر يقول: «استشـهد أربعة أشـخاص فـي الطريق إلـى كربلاء على أيـدي أهل الإرهـاب»، هنا عرفتُ أنهـا روح أحدهـم وهـو لا يهاب اللحظـات وقد غـدا في عالم الأطيـاف يسـير بلا خوفٍ أو وجـلٍ مع الملائكـة والمؤمنين من الجـنّ قاصدين جميعاً زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام وعلمتُ أيضاً أن الموت لا يمنعُ أحدا من الزيارة.

نزلنـا من السـيارة فـور وصولنـا إلـى منطقة النـزول التي اتفقنا عليها مسـبقاً، وتجمعنا وهنا نُشـرت رايتنا التي خط عليها بلون الدماء السـائلات «يا حسين» وكانت خضراء اللون تترقب ظهـور مهدي هذه الأمة عجل الله تعالى فرجه الشريف لتعلن له الولاء أيضاً، وقد ارتفعت إلـى السـماء بأيـدي الـزوار الشـرفاء وأعلنت صيحـة الانطلاق والتـي كانـت لحظة الإنقطاع إلى الحسـين وآلـه عليهم السلام، وكانت الصيحـة «اللهـمَّ صـلّ على محمـد وآل محمد وعجـل فرجهم والعـن أعداءهـم» مدويـة ولها مـن المعاني الكثيـرة التي يمكن للإنسـان أن يعيها في تلـك اللحظة، فمن المعاني البسـيطة التي

ظهـرت أمامـي فـي أولى خطواتـي بأن هذا المسـير مـع ملايين البشـر وأطنـان أوزانهم المختلفـة التي تحملها هـذه الصحاري مـا هو إلا صورة من صور العشـق الذي اعتنقه عشـاق الحسـين عليه السلام، وفهمت في هذه الأثناء بأن السـعي إلى كربلاء هو سـبيل الحيـاة «عن مثنّى الحنّاط، عـن أبي الحسـن الأوّل عليه السلام قال: مـن أتى الحسـين عليه السلام عارفاً بحقّه غفر له مـن ذنبه ما تقدَّم وما تأخَّـر»[1] كما إن السـعي طريقة من طرق مواسـاة الآل النازحين عن الأوطان، ومسـير مع الآل إلى المدفونيـن بلا أكفان، أنزلت رأسـي وأنا أخطو خطواتي احتراما لمقدم الزهراء عليها السلام في هذا المسـير، فلقد شـعرت بأنها تسير مع الهاشـميات العائدات إلى كربـلاء من الشـامات، نعم أخذتنـي أقدامي إلى ما هـو أبعد من المسـير بين الحشـود المليونية أخذتني أقدامي إلى ساكن التربة الزاكيـة وصاحب القبة السـامية الـذي طهره الجليـل وناغاه في المهـد ميكائيل، إلى هناك في أول الخطوات كنت أطير بسـرعة وبنعومة الحرير، رفعت رأسي مرات قليلات وكانت لرؤية تلك الرايـات التي أعلنـت عدم الخنوع والخضـوع لأيٍ من الأدعياء وأولاد اللعنـاء، والتـي قد ارتفعـت لتزيين الطريـق المؤدي إلى كربلاء وإشـهار الولاء وهي ترفرف بالحـق وتصرخ معنا «لبيك يا حسين.. لبيك يا حسين».

فصـرت أنظر لحظـةً يميناً ولحظةً شـمالاً أبحث عن ذلك

(١) كامل الزيارات، ص ١٥٢.

الموكب الطاهر، أبحث عن أطفال يلوذون بنساء مسبيات وعليلٍ عظيم يسير في الصحراء وحيداً مقيداً!، أبحث عن موكب خرج لرحلة تُسمّى رحلة إحقاق حق،.. وذكرت في تلك الثواني المعدودات بعض الحروف والكلمات التي كتبتها في صغري..

رحلة إحقاق حق..

أطفالٌ، نساءٌ

رجالٌ، محاربون

وصلوا إلى أرضٍ دموية

سألوا عنها، فقيل كربلاء أي كربٍ وبلاءٍ

فجأةً.. انشقَّت السماء

تفجَّرتِ العيون

سَبَحت الأجسامُ في محيط الدماء

سيفٌ مُلقىً..

جسدٌ مُدمىًّ..

أشلاءٌ مُقطّعة..

آهٍ.. آهٍ

إلى أين ستصلُ القافلة؟!

و فجأةً ماتت طفلة!!

بكاءٌ.. وعويل

صراخٌ.. ونحيب

ذُهولٌ.. وجِراح

يا الله.. إلى متى سنستمر في الطريق؟!

متى سنصل عند الحاكم

لا أنسى في الطريق

إذ عيَّرونا بمُصاب الرأس

و ذكَّرونا بالمحراب

و لم ينسَوا الباب

و في المقدمة رأسُ الظّامي

و من خلفنا كفّا السَّاقي

في جامعهم..

خطب الإمامُ الهُمام

ابن صاحب الرأس (الضرغام)

في جمع أولئك الطّغام

بلسان القرآن

فبهِتَ النّشوان

فأمر برفع الأذان

و لم يأن الأوان

ولكن الإمام زلزل منهم الأركان

و كيف لا..؟

فهو من بيت حكمة..

و مهبط الوحي..

و مختلف الملائكة..

هو زين العُبّاد

هو عليٌّ السَّجّاد

آهٍ – اخترقت الجدران –

رَجعنا إلى موطن الأجساد

فرأينا جسداً وسط الميدان

ملقى عليه طفل

وآخر مُلقىً

هناك أمٌ ثكلى على جانب النهر

.. ها هنا اختلَّ الميزان!...

آلامٌ

مزقت عيون الشمس

دمرت ضياء الأقمار

وصلنا إلى الديار

هيجانٌ.. إعصار

طوفانٌ.. زلزال

ذاك ما لقيناه!..

من بعيدٍ – أمٌّ – قادمة

حَولها ملائكة باكية

سَأَلت عن ابنفها

فأخبرها بشرٌ عن مصارع أبناء

سقطت حين عَلِمت

بنبأ العمود

قالت لم أَسأَل بنيَّ الأربعة

بل عن ابن أبي تراب؟

قيل لها قتل وسقط في البيداء

دويٌّ.. بركانٌ

تجمَّعت السماء لتخفي ما جرى

ولكنها أبت.. إلا أن تصبَّ دماء

إتجهت – الأُمُّ – إلى الدار

إلتقت سيدة الأحزان

وبدأن بالتذكُّر

- إتّهامٌ بالهجرِ وطُغيان -

- ضلع كُسِرَ خلف الباب -

- رأسٌ فلق في المحراب -

- كبدٌ لُفِظَ على التراب -

- أصحابٌ ذَكروا الرحمن -

- شهمٌ قاتل الفرسان -

- طفلٌ سقط على الرمضاء -

- رأسٌ.. كفّان.. وعيونٌ.. ودماء -

- رأسٌ محمول -

- جسد مُلقى -

- بدنُ مسلوب -

- خنصرٌ مبتورة -

- مَحمِلٌ هَزَّ العروش -

وهذا كلهُ

لأجل رضا الرحمن

و هل تصدق؟

... إنها

رحلة إحقاق حق

ولكنَّها

ضُرجَّتْ بدماء!!

صورٌ من لغة المسير،،

«فاطمة.. مرّت من هنا..»

الطريق عبارة عن شـريط يَسـتعرض الكثير مـن المواقف التـي لا يمكـن أن تراهـا إلا فـي هذا الطريـق العظيـم، ففي هذه اللحظـات... إكتشـفت أن هـذا المسـير يَعـزفُ لحـنَ عُشـاقٍ للرحمـن لا للدنيا أو لرضا أي إنسـان.. أولـى الصور التي بانت فـي الأفق فور وقوفنا للتزوّد من المـاء مرور موكبٍ لتمثيل حال السـبايا.. هنا أهرقت الماء من فمي! وصارت عيناي تنظران إلى سكينة والرباب وزينب عَلَيْهِنَّ ٱلسَّلَامُ وهُن يُضربن بيد الأشقياء اللُعناء، وأمامهم الرؤوس المُشالات يلوّح بها أمام بنات الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، هنـا نظرت الكوفة ولحظة الدخول إلى أرض الغدر وقرب قصر الإمارة عندما رُمي رأس مولاي الحسـين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بحجرٍ لعينٍ من امرأة ملعونة أسـقطت النور إلـى الأرض فتركتْ في قلب زينب جرحاً باقياً في الدهور.. فور رجوع خيالي من الكوفة نظرتُ إلى الموكـب، آهٍ.. آهٍ.. لـم أجد طفلـة صغيرة تُكنّى بــ رقية بين هذا الموكب الجليل الحزين لكنَّني شاهدت رداءً ملطّخاً بالدماء بيد زين العبـاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحمله وهو يبكي وعمته زينب الكبرى عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ

تناجي الحسين عليه السلام وتقول: العذر.. العذر يا شقيق فؤادي فها أنـا ذي عائـدة إليك ولقد حافظت على الأطفـال وكما أوصيتني يـا نور عيني ولكنّي.. ولكنّي فقـدت مني طفلةً حبُّها في القلوب عظيم.. فقدتها في الأحزان والآلام في خربة الشام ودفنتها هناك فبقيت معنا طيفاً لا يزول.

و أجمـل الصور التي ارتسـمت أمام عينـيَّ هي صورة أبٍ يسـير في هذا المسـعى العملاق إلى كربلاء وبيـده طفله الصغير بـلا تعـب أو خوف أو حتـى كلام، فحتى الطفـل الصغير يناجي نفسه بـ لطميات مشهورة للكثير من الرواديد وكأنه يواسي إمامنا الباقر عليه السلام في هذا المسير وشاهدت أباه يمسح بيده على رأسه، هنا أغمضت عيني وسافرت لأنظر حميدة بنت مسلم وهي تقول للحسـين عليه السلام لـمَ عمَّاه! تمسـح على رأسـي كما يُمسـح على رؤوس الأيتـام..؟ فـكان جواب الحسـين عليه السلام دمعة سُـكبت لتُخلـد ذكرى اليتم والأيتام في مسـير كربلاء، إن هذا الوالد كان يسـير بشـوقه إلى أرض الموت إلى أرض كربلاء، وفي جُزء من الثانية أحس الطفل بالتعب والإعياء فرفعه أبوه على ظهره وقال: «ابني أقلك شي هاي اولاد الحسين عليه السلام ما شالوهم مثل ما آني شـايلك هنا، لا بابا هُمه ضربوهم طول الطريق» بكت عيناي بلا أي سـابق إنذار فهذا الأب قد نعى الحسـين عليه السلام وآله بالتفاتته هذه!،... الكلمات تقف وتعجز عن وصف هذا الغرس الثقافي للابـن من قبل أبيه المشـتاق، وصورة أخـرى من صور الموكب

البشري الذي يسير إلى أصحاب الرؤوس المفرقة عن الأبدان، هي صورة أمّ عَرِفت معنى أن تكون من زوّار الحسين عليه السلام في الأربعين، فهي تمشي وتخاف أن يضيع ابنها الصغير بين هذه الحشود المليونية فقررت ربط يدها بقُماشٍ أخضر اللون تعبيراً عن الولاء لراية العباس عليه السلام وكان طوله معقولاً بحيث إن تعب الولد الصغير فإنه يخفف من سرعة سيره من دون أن يضيع من أمه.. حقاً كم هو كبيرٌ قلب الأم أن يكون في العراء يقطع المسير في الصحراء وهو ما لقيه وكابده علي والزهراء وكانت بينهم تلك الحوراء عليها السلام لكم هو عظيم هذا الإحساس والشعور.. أحسست بأن السعي إلى كربلاء هو مأمن للقلب من كل داء، وهناك صورة أشجت قلبي كثيراً وأحسست معها بأهمية هذا النداء «لبيك يا حسين» لمن يعيش العزاء في أيامه.. نَعم إن الحسين عليه السلام خالدٌ بإرادة الرحمن ذي الجلال والسلطان ولن يقهر زوراه طغيان حكام الزمان أو حتى جور البشر وظُلم الإنسان، صورة مُبكية أخرى رأيتها وهي أمٌ أخرى تسير بما هو دون الحذاء وكنت أسمع وقعه على الأرض تارة وصوت سحبه عليها تارة أخرى فكان هذا الصوت يدمر عقلي فعجزت عن التفكير وجعلت أصرخ.. يا حسين.. وهذه الأم تمسك بيدها حبلاً طويلاً ومتيناً وخلفها طفل صغيرٌ جداً جعل من سلة الفاكهة مركبة سريعة له!، ومعه راية صغيرة كتب عليها «لبيك يا حسين»، حقاً كم هو العشق مجنون وهؤلاء جميعهم فُتنوا في الحسين عليه السلام وهو جنونٌ مُستحبٌّ في نظري وعُقلائيّ جداً

وأصبح لديَّ يقينٌ في أن من لا يُجنَّ في الحسين عليه السلام هو إنسانٌ لم يَفقه أجمل وأرقى وأجّلَّ معاني العشق والحب والهوى.

و كانـت هناك صـورة لها وقعٌ ذو رنيـن وصدى يصل إلى سـماء كربـلاء، وهـي صورة موكـبٍ لا يَضـم أحداً مـن الرجال وإنمـا هو موكبٌ للنسـاء يسـير وينـادي «يا زينب.. يـا زينب».. كانـت هنـاك حالة حزينـة جداً في تلـك اللحظات فهذه النسـوة مشيْنَ من أرض النجف إلى كربلاء حوالي الثمانين كيلومتراً بلا كلـل أو حتـى خوف أو بحث عـن رجال تحميهنَّ فـي الطريق.. فقط كانوا يَسِرْنَ بعشق زينب الحوراء عليها السلام، وهذا ما جعل هذا الموج يبكي وهو يمشي.. ما هي كربلاء!، إلى الآن لم أستوعب كمية العشق الممزوجة بالهواء الذي نستنشقه فالمناظر هنا تضج بالكبريـاء وهـي لا تنضب وتسـقي حتى مـاء الحيـاة!، فهي حقاً مفعمة بالحب والعطاء من وحي أبي الأحرار عليه السلام.

فور توقفنا لإقامـة صلاتي الظهر والعصر، كنا قد قرَّرنا أن نتنـاول وجبة الغـداء والراحة إلى يوم غد لنكمل المسـير ونصل إلى كربلاء المقدسـة، فكنت حزيناً بعض الشـيء لأنَّ الجمع لا يمكنـه المواصلـة لأكسـب بعض الدقائـق الجميلة فـي كربلاء، لكنَّنـي خضعـت لأوامـر المجموعـة وأصبحت جالسـاً أراقب المواكب التي تمر على موكبنا بعد الفراغ من وجبة الغداء المُعدَّة من أجـل زوار أبي عبد الله الحسـين عليه السلام وبعد الصلاة، وكان للنوم نصيبٌ لراحة الأبدان وبعد ذلك دخل وقت صلاة المغرب

والعشـاء فصلَّينـا وتناولنا وجبة العشـاء التي كانت سـريعةً جداً وبعدهـا دخـل وقت النـوم!، كان الوقت في هذه الرحلة يمشـي بسـرعة كبيرة جـداً لا يمكن وصفهـا، ولكنَّني قرَّرتُ بنفسـي أن أقتطـع بعض الدقائق من وقت نومي ونهضتُ خارجاً من الخيام وإذا بالمطـر يغـزو الأرض وهـو رحمـة من رب السـماء وذلك لأن الهـواء كان محمـلاً ببعـض التراب ولكن المطـر قال كلمته العليا وغسـل الأجواء، وحقاً تجلّت هيبة المطر في ليل المسـير واكتشـفت أنَّ كل الطـرق تـؤدي إلـى كربـلاء وهـذا المطـر هو لإعانة [المشـاية] للوصول إلى موطن العشاق حقاً مُميَّزةً كانت وعظيمةً تلك الليلة فعرفت فيها أنَّ الصحراء أيضاً تبكي الحسين عليه السلام بأنيـنٍ وإلتـزامٍ وتعلقٍ بأقدام الـزوار لتعانق تلك الأراضي المقدسـة، نعـم إن رمـال الصحـراء نتنقل مـن الديـار كما نحن ننتقـل ولكن.. لها طريقتهـا الخاصة بها، ورغـم وجود الجموع فـي الصباح الباكر إلا أنَّ في المسـاء كانت هنـاك جموعٌ صغيرةٌ تمشـي تحت المطر بطريقة لا يفارقها الوقار فشـعرت حينها بأن الدمـع قد قـرّر التحرُّر من مآقيه.. إن هذه القفار حقاً مُلهمة وهي مسـلوبة الأفراح ومليئة بالأتراح، وهنا فـي هذه اللحظات وقبل أن أقرّر العودة إلى الخيام لأنال القسـط الذي سـمحت لنفسـي أن آخـذهُ مـن النوم، سـافرت في عالـم الخيال قليلاً وشـاهدت موكباً بهياً يسـافر معنا ويُحلّق فوق الغيوم الباكيات ومعهم ثوب المجد المُدمّى وخنصرٌ لجسد لم ينحنِ للطغيان، وهذا الموكب يمارس كل الشـعائر أيضاً فأراهم لاطمين باكين مغبّرةً رؤوسهم

يمشون إلى كربلاء ولكن في طريق السماء!، وأحسست بأن هذا هو حج العاشـقين والناسكين والعارفين، كلهم متجهون إلى من الشـفاء في ترتبه واسـتجابة الدعـاء تحت قبتـه.. دخلت الخيمة وكلّـي همٌّ وحزنٌ.. كيف سـأنام هذه الليلـة..؟ لا أدري ولكنَّني أعـرف بـأنَّ البكاء أخذ مني إذناً للدخول إلى قلبي بسـرعة تفوق سـرعة الضوء والصوت، وهنا سـمعت كلمة! «أتنام في الخيام، والسـبايا تشـكتي الآلام!» هذه الكلمة جعلت وسـادتي تبتلُّ من فيـض الدموع فبتُّ لا أعـرف إن كنت نائما على وسـادة أم على سـطح بحر هائج؟!، فذِكر السـبايا جعل مني شخصاً مزعجاً في وقت النوم ولم أجد من يعينني في هذه اللحظات على هذا البكاء غير زينبَ والزهراء عليهما السلام.

في الصباح،،

«القبورُ صارت خالية.. فالكل متَّجهٌ إلى كربلاء»

مع صوت الأذان كانت صلاة الصبح ذات روعةٍ لا متناهية قد خرجت عن قوانين البشر لأنها قانون إلهي رباني، فخرجنا من تلك الخيام مهرولين.. فاليوم هو اليوم الموعود اليوم سألتقي كربلاء، - لكن! وبعد ساعات معدودات - كان جميع من يمشي في هذا المسير وكما عهدتهم مشتاقين إلى كربلاء ومتعطشين لِلّقاء بتلك الأراضي، وأنا في ذلك الطريق سألت أحدهم سؤالاً ويبدو أنَّني قد سحقت قلبه فقلت: عجبتُ لمن لا يبكي زينباً..!، لأني كنت أستمع إلى قصيدة فيها ذكر زينب عليها السلام فدمعت عيناي فسألني أحد الساعين ولماذا البكاء! فبعد قليل سنصل إلى موطن الإباء..! وددت لو أشرح له ولكنَّ الدمع لم يُعنّي على ذلك فتركت الإجابة بين يديه! وتركت تلك الدمعة لتحاكيه وتخاطبه وتخبره بما جرى على تلك الأرض التي سُقيت بالدماء.. وهنا كان الموعد مع التوقف الأخير لصلاتي الظهر والعصر وتناول الغداء وبعدها نكون قد دخلنا إلى مواطن

المجدليـن في الفلـوات.. وفي هذه الأثناء كانـت صورة أخرى من صور الولاء لـ شهيد الشهداء عليه السلام.. شاهدتُ أطفالاً نذروا أنفسـهم ليريحوا أقدام السـاعين إلى كربلاء وذلك بتقديم خدمة الـ[مسـاج] أو التدليـك للأقـدام بمختلف أنواع الدهـون الطبية التـي وفرهـا لهم الأطباء، حقـاً لقد كانت منظـراً عجيباً خدمتهم هذه! ولم أسـمح لنفسـي إلا أن أسـجل هذا الأمر فـي مذكراتي وذلك للتأريخ ليعرف كم هو فخرٌ وشرفٌ أن يكون الإنسان زائراً للحسين عليه السلام في الأربعين، وكم من البشر من يُمَنُّون أنفسهم بأن يكونوا خُدّاماً لخدَمة الحسين عليه السلام لينالوا تلك المنزلة العظيمة التي يلقاها هؤلاء الزوار، بعدها كنت أمشي وأردد «كل قطرة دم بشرياني تهتف بسمك يا حسين، روحي شلون تظل بجسمي من أذكر جسـمك يا حسين، جسـمي مو أغلى من جسمك، دمي مو أغلى من دمك يا حسـين»، وكنت في بعض الأحيان أصرخ دون أن أزعج مَن حولي بهذا الصراخ!.

وصلتُ موطن البكاء،،

«سليل النفوس الطاهرات، ساجدٌ
جنبَ الفُرات»

دخلت أرضاً يقالُ لها كربلاء، كيفَ عرفت!.. فقط نظرت إلـى الوجـوه الباكيـات فعرفـت بأنّني صـرت في موطـن البكاء والدمـاء، وفـور دخولي إلى تلك الأراضي سـمعت نداءً لم أكن قد سـمعته في الطريق قبيل الدخول إلى كربلاء!، سـمعت نداءاً يعلو السماء ويردد «حي على خير العمل أيها النُبلاء»، وإلى الآن لا أعرف مصدر هذا النداء فلا مذياع أو سـماعات كانت تصدح بمثـل هذا القول ولكنّني سـمعته!.. وهنا بـدأت بترديد القصيدة الشهيرة..

جينا ننشد كربلا مضيعينها — بيها زينـب قـالـو ميسرينها
جينا ننشد كربلا مضيعينها — جينا ننشد كـربـلا مضيعينها

يسروها ولا لها واحد فزع — شال حـادي ظعونها بساع وقطع
جينا ننشد وين أبو فاضل وقع — مـا تـدلـونـا الـشريـعـة وينها

بس أشوفه والعتب مني يزود — وأدري ابو فاضل على النخوة يجود
عذرة حقه يقول مقطوع الزنود — حال ملك الموت بينه وبينها

جينا ننشد كربلا عليها العتب — نقول هاي رجال وتدور الغلب
حرمة زينب بأيش مطلوبه بذنب — فوق قتل حسين ومسلبينها

أرد انشدك كربلا عن النزيل — شلون ظعن الحرم شال بلا دليل
جان قلتيلي يعاونه العليل — بالمرض مشدوه وينه ووينها

أرد انشدك هم صدق بالشام عيد — وحطوا بطشت الذهب راس الشهيد
ومن نشد زينب بديوانه يزيد — قاعده لو واقفة مخلينها

جينا ننشد عالعليل من إنوله — فوق ضعف المرض هلبلوى ابتلى
ليش ما غاصت بأهلها كربلا — من قطع بالسيف راس حسينها

جينا ننشد كربلا وزين العباد — الروس شالوها وبقت بس الأجساد
شلون جسمك سيدي من المرض باد — ما حصل واحد حظى بتكفينها

عن عبدالله بن زُرارة «قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

إنَّ لزوَّار الحسين بن عليٍّ عليه السلام يوم القيامة فَضلاً على النّاس، قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنّة قبل النّاس بأربعين عاماً، وسائر النّاس في الحساب والموقف»[1]. كان لهذه الكلمات صدى بين الجموع التي أمشي بينها وكانوا يرددون بلا تعب أو إعياء «جينا ننشد كربلا» وكان هذا النداء هو نداء الحرية ونداء الرغبة في اللقاء ونداء حُسين الذي لا يعلوه نداء.

(١) كامل الزيارات، ص ١٤٨



وطن التضحية،،

«أنا مفتونٌ بذلك البكاء..»

كنت أمشـي مع الجمع ولا أعرف متى سألتقي بتلك القبة الذهبيـة التي تحتها جسـد العبـاس عليه السلام أو تلك القبـة الذهبية الأشـد حزناً والتي تحتها مهوى جسـد الحسين عليه السلام وموطنه، فلا أنـا أعرف! ولا من يعـرف يرضى أن يتكلـم! فالجميع حفاة الآن يمشـون وتلك الأحمال [الحقائب] على ظهورهم وهم لا يشـعرون بها فبعد قليل سيكون اللقاء بسيد الشباب والشجعان؛ بالعباس عليه السلام أو الحسين عليه السلام، مشيت في زقاق صغير وضيق وبعدها عبرتُ شارعاً كبيراً وكنت أعتقد بأني الآن سأرى إحدى القبـاب ولكنّني إلى الآن لم أشـاهد شـيئاً فصـرتُ أبحث وأنظر الجميع يمشي ويبكي، أجل.. فهذه الأرض جرت فيها الويلات وعلت الآهات على آل الأئمة السادات ففي هذه الأرض داست الخيـلُ صدر القرآن!، وفجأة ودون سـابق إنذار توقفت الجموع أمامي وأنا أسـيرٌ لعقلي وأفكاري.. أمشـي معهم وكأنّي شخصٌ حُكـم عليه بالبكاء مـدى الدهر في هذه البقـاع.. هنا خرجنا من زقـاق صغير ضيق ودخلنا في شـارعٍ رحب برحابـة الفضاء وإذا

بعينيَّ تلتصقان بقبة تعانق السماء والطيور تقبلها وتحوم حولها بكل وفاء هنا توقفت لحظاتٍ ثم هويتُ خارّاً ساجداً لله تعالى شكراً؛ وأنا عاشقٌ تلك اللحظة في التأريخ.. تلك اللحظة التي نظرتُ فيها إلى قبة العباس عليه السلام؛ فطبعتُ قُبلةً على تلك الأرض لتُسجل لي بأنّي قبلتها من أوّل نظرة وكم افتخرت الأرض بأن هنالك من قبلها وفي قلبه نداء [يا عباس]، وبدأت مخاطباً سيدي ومولايَ وأميري علي بن أبي طالب عليه السلام فأنا أعلم أنه معي في تلك الأثناء واللحظات العظيمة التي سلبت مني كل الأفكار وأخبرته بمقالة العباس «العلم عالقاع يا حيدر يبويه ومنك أتعذر» وها أنا أشاهد تلك الراية التي لا تعرف الانحناء ولكنّها سقطت لتُسجل أعظم ملحمة في تاريخ الرايات وحكاية لا تعرف الذل والهوان من أجل رضا الرحمن، وبدأت بالمناجاة مع العباس وأنا أسأله.. أين هي الآن زينبُ..؟ ألم تصل إليك أيها العباس..؟ وبدأت بالانحناء في المسير لأنّيَ الآن صرتُ مِمَّنْ مشى على أرضِ كربلاء!، لكم كانت ثقيلة تلك الخطوات فكنتُ أشعرُ بثقلِ الأكوان على ظهري وكأن العالم قد بدأ بالتباطئ هنا ليُسجل الزمان بأني وصلت إلى الحلم الكبير.. وصلتُ إلى كربلاء.. ورأيت قُبة العباس عليه السلام..

الوضوء،،

«وتوضأت من الدموع على الحسين!»

وصلت إلى الفُندق لأرمي ما أحمل من أثقال على ظهري وأغتسل غسلا تشهد لي به الأنبياء، فأنا الذي قررت زيارة العباس عليه السلام، وإلى الآن لم أنظر إلى قبة سيد الشهداء عليه السلام، ولكنِي سأزور مقطوع الكفوف وأخاه قطيع الوتين، بعد ثوانٍ.. وتوضأت وهنا تذكرت، أنّ الحسين عليه السلام توضأ بالدماء وغسّل بالجراح، والعباس عليه السلام قرر الوضوء ولكن بلا كفين ولا عينين بل بقلب ورئتين، حين نادى: أخي يا حسين.. كان النداء كفيلاً بتغسيله من الدماء؛ فخرست أصوات السيوف وخبت نشوة الأعداء فور سماعهم لهذا النداء!، كنت أقطن في فندقٍ يُطل على قبة العباس عليه السلام من جهة باب العلقمي، وكان اسم هذا الفندق «قربة العباس عليه السلام»، ولهذا الاسم معي حكاية بكاء فور وقوفي أمام أبوابه لألاقي أبواب سيد التضحيات، وتم تفتيشي لأكون خالياً من المواد المفجرة ولكن المُفتش لمس قلبي؛ ذاك المفتون بالدخول إلى هذا المكان المقدس ولامس بقية أجزاء جسدي المترقبة الوالهة وشعر بذاك الحرمان الذي خطته

يـد الزمـان؛ فقرر المفتش الإسـراع بعـد أن نظر إلـى بريق عينيَّ المتوهج في وجهه.. فقال بكل هدوء: «أسـألك الدعاء».. وفور أن هممـت بالدخول إلـى الحرم العطشـان!، صافحت الأبواب ووقفـت وقفة العبـد الذليـل الخاضـع للمولى العزيـز الجليل، وسَلّمت على أحد عباده المُخلصين الذين أفنَواْ حياتهم رغبة في رضا الرب الكريم، وكان للماء كبرياء شـاهدته ونطقت به عيناي في ذلك الحرم المهيب.. ودخلت إلى موطن العِزّ والكبرياء...

حرم راية الأنبياء،،

«راية تناقلتها الأجيال وسيرفعُها
صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف»

«السلام على العبد الصالح».. دخلت قصر العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.. وصرت مع جميع الأنبياء والملائكة والأتقياء، أخذتني الرجفة وقرأت إذن الدخول والزيارة وهممت بالدخول لملامسة ضريح قطيع الكفين، ولا أنسى حينها إذ أمطرت السماء وبكت معي وبدأنا بتغسيل الجراحات؛ تارةً دمعي يجيب وأخرى السماء تجيب!، وقفت مع الحشود المليونية بانتظار رؤية ذاك الشُباك الطاهر، وفور ما رأيته وإذا بجسدي يرتجف ويسقط على الأرض ليقدم قربان البكاء.. وكان عليَّ أن أملأ تلك القربة التي حملها فسقطت مع اللواء ببعض من دموع الولاء، وفجأة وقفت بقرب الباب الذي سيدخلني لألامس ذاك القبر الطاهر، وبدأت الحشود تصرخ «لبيك يا عباس.. لبيك يا عباس.. لبيك يا عباس» دونَ توقف وبصرخات يُسمع من خلالها صوت الدموع والصلاة!، حقاً كان سحراً ليس بغامض فهذا هو قاضي الحاجات ومفرج الكُربات وهو ابن سيد الوصيين وأمير المؤمنين عليه السلام ولم يزل هذا النداء يدوي؛ فور أن

دخلنا العتبة المقدسة أصبح النداء مع الملايين «واويلي على العباس.. واويلي على العباس» وهنا لم أتمالك نفسي فبدأت بالصراخ وكانت الكلمات تخرج دونَ أيِّ إذنٍ أو حتى اختيار فهي تخرج لأجل ذلك الإنسان فقط، وحاولت الوصول لألامس قبر الوفاء، وفجأةً وأنا مملوء بالبكاء والعويل والنحيب وقف رجل أمامي وفتح الطريق لأعانق الشُباك وكان يهمس في أذني: خذ حاجاتك الآن، وعندها تذكرت أمي وأبي وأخوتي واثنين من الأحباب فقط وفلقد أحسست بأنه قد تم الاختيار وفي منتصف البكاء والخطابات تذكرت حاجةً سألنيها أحد الأصدقاء فهو زوجٌ لم يُرزَق بأبناء فقلت للسّقّاء إنّ حاجته في يدك أيها المعطاء، ولازلت ملاصقاً للشباك وأنظر القبر بعينيّ وأذرف تلك الدموع بلا رقيب يقتطع تلك اللحظات؛ وهنا صرخت بنداء «يا عباس جيب الماي لسكينة» وفي هذه اللحظة صار الجميع يردد نفس النداء!، وصارت سكينة محور الأملاك وشاهدت الحرم يهتزُّ وكأن العباس عليه السلام يرغب بالخروج ليأتي إليها بالماء ولكن كيف؟! إنّه بلا كفين!..، وبعدها شعرت بالإختناق وأصبحت لديَّ رغبةٌ في البكاء في إحدى الزوايا منعزلاً وحيداً دون هؤلاء البشر، فظهر لي نفس الرجل؛ ذاك الذي أدخلني فدفعني بكفه لأصل إلى موقع الخروج من الحرم!، وإلى الآن أنا أرتجف من تلك اللحظات ومن ذاك الإنسان.. فإنّني لم أشاهده بعدها في الحرم أوحتّى إلى جانب الجدران!، وقرّرت الصلاة لأنه قد دخل وقت صلاتي المغرب والعشاء وكان للصلاة هناك جمالٌ ليس له مثيلٌ، ولم أنسَ أم البنين عليها السلام؛ قاضية الحاجات وعاشقة الحوراء والزهراء...

زحف،،

«أيـا زينـبُ كيـف هـو السـعي بيـن العباس والحسين..؟»

خرجت من أحد الأبواب وفنظرتُ وإذا بقُبّةِ مَنْ بَكتْ عليه السيوف وغنت غناء العاشقين «لبيك يا حسين» وهنا شعرت بأن للبكاء نغمةً خاصَّةً في لفظة «حسين»، فخررت ساجداً باكياً مبتهلاً شاكراً لله تعالى أنْ مَنَّ عليَّ بزيارة مولاي الحسين لألامس قبره الشـريف، وأكملت سـجودي بالزحف مع بعـض الزاحفين إلى القبر الشريف وموطن الجسم السليب والشيب الخضيب والثغر المقـروع بالقضيـب، هنا فـي هذا المـكان ركضت زينب عليها السلام بين العباس عليه السلام والحسـين عليه السلام.. أجل.. الحسـين الذي في كل حرف من حروف اسـمه وكل قطرةٍ من قطرات دمِهِ أنشـودة خلودٍ أبدية، فور سقوطي للزحف تذّكرت الأطفال الذين زحفوا ليصلـوا إلى جسـد الحسـين عليه السلام بين طعنـات الرماح وضرب السـيوف وهجوم الأعداء، هنا سُجلت أروع ملاحم الوفاء لأبي عبد الله الحسـين بن علي بن أبي طالـب عليهم السلام.. حقّاً لا أتمكن من وصـف تلك اللحظـات.. زحفٌ يترنّم بالبكاء والدماء، وخدٌّ

تريب يواسي الخدور المحروقات للنساء الطاهرات؛ لقد عفّرت وجهي وجلدي الناعم بتلك الأرض؛ فهذه الأرض هي التي عانقت دماء الشهداء وسيدها ساكن كربلاء، هنا عرفت حقّاً كيف مشت زينب عليها السلام من العباس إلى الحسين ومن الحسين إلى العباس؛ لقد كانت تسقط وتنهض لتصل إلى العشق ولا أدري كيف كانت الطاهرة العالمة تتمكن من الوصول! فأنا السليم المعافى الصغير تعبت في منتصف الطريق؛ ولقد كنت أستمع إلى صنوف النعي التي جعلتني أتوقف لحظات لأجدد النحيب والصراخ! وقبل وصولي إلى بوابة جنة السماء، وعرش الله وروضة الأنبياء في الجنان سألت الرحمن أن يجعلني ممن يضجّون ويبكون على الحسين عليه السلام أمّا زينبُ عليها السلام فهي العظيمة والمرأة الكبيرة التي لها أبناءٌ شهداء وأخوةٌ قُطّعت أوصالهم في البيداء؛ تلاحقها ألسنة النيران وتحوم حولها الخيول وتتلوّى عليها السياط وتسمع صراخ النساء وعويل الأيتام وتُقلّبُ طرفها فلا ترى لها ناصراً ولا معيناً سوى الله..
«يا ساعد الله قلبك يا زينب».. وفورَ الوصول..

ترتيل النداء،،

«لفظة - الحسين - ترتيل آياتٍ محكمات..»

«لبيك يا حسين».. وقفت قليلاً لأن الحرم مملوء بل ويغص بمئات الألوف من البشر والزوار؛ ولكنّي على علم بأنّني سأصل لأذوب في ذاك الشُباك وهنا بدأ الزوار جميعا بالصراخ بصوتٍ واحد «لبيك يا حسين» وبدأ عقلي بالتطاير فأنا الآن سألقى جسداً قطعته الأعداء؛ ذا رأس مفصول قد رُفع إلى السماء وخنصرٍ مبتورٍ بيد الأدعياء.. حقاً إنَّ الصمت لا مكان له في هذا الموقف فكل النداء كان.. حسين.. حسين.. حسين.. حسين.. حسين.. حسين.. حسين.. دون انقطاع فعرفت من أين كان النداء القديم الذي سمعته في المسير.. «حيَّ على خير العمل» والذي صار الآن «حيَّ على الفلاح»! إنه من قبر البكاء.. قبر الدماء.. قبر المحتسب الصابر.. قبر المظلوم بلا ناصر.. وكأنّي قد شاهدت قائمةً كبيرة مكتوبة في قلب السماء وفيها أسماءٌ.. عند كلِ اسمٍ قد كُتِبَ «عاشق الحسين»، جنونٌ وفنونٌ رُسمت الآن على أرض من حار في الفلوات.. أجل لا مكان

هنا للصمت ولا مجال لكلمات الأدباء؛ فالبكاء والدموع التي ستُترجم كلَّ شيءٍ، إهتزّ قلبي وكأنه بركان ثائر قد تفجر بمشاعر لم أكن أمتلكها في زمن غابر، ولم يسمح لي لساني بالنطق بأية كلمة أو نداء سوى.. حسين.. حسين.. أصبح وجهي الآن أمام قبر تبكي بقربه الزهراء عليها السلام ويناجي ربه بجانبه سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، وكأني بأبي البشر آدم عليه السلام وهو ينظر إلى بنيه ويقول: «من الذي قتل حبيب رسول رب العباد..؟» والجميع يبكي ولم أسمع همساً إلاّ وفيه نغمةٌ من البكاء!، والآن فقد حان موعد الدخول تحت قبته المشعةُ بذكرى الدماء، الآن هو موعد تلبيه الندء فغدونا جميعاً نصرخ ونهتف بكل لهفة «لبيك يا حسين..» وقبل الدخول عاد الزحف مجدداً بكل رونقه ولم يكن عقلي يسمح لي بأن أفكر بأنّي الآن سأدخل إلى عبق علي الأكبر عليه السلام ولكن قلبي هو من قادني إلى من أعتق رقبتي من لظى النيران وجعلني عاشقاً لأبيه الحسين عليه السلام، دخلت والنداء لا يزال «لبيك يا حسين»، ولكنّني قررت المناجاة فقلت: «يا عليُّ أين كنتَ لحظة أن نادى الحسين الظمآن، ألا من ناصر ينصرني..؟ ألم تتحرك أعضاؤك وتتجمع أشلاؤك..؟» وبعد أن ذبت في الشُباك وغصت في محيط القبر واحتضنت تلك اللحظات واللقطات فصرت أنا والقبر وبقية الأملاك؛ هنا رقصت العيون وردَّدت نشيد البقاء ولحنَّته بلحن البكاء «يا حسين» ولا أزال أطوف حول القبر الشريف ثم أسقطت نفسي عليه بكل هدوء وأحسست بأنه لا يمكن لمسي الآن من قبل جميع من يضجُّ

بالبكاء والصراخ والنحيب حول قبر الحسين الحبيب؛ بل وحتى الأصوات أصبحت ضعيفة جدا ولا يمكنها التوغل لتحتل جزءاً من سمعي وكان كل ما يلتف حولي ينادي معي.. يا حسين ويستنهض المسجى أمامه، وفي لحظةٍ ما خرجت من بين تلك القطع الحديدية والتي تُسمى شُبّاكاً لأصير بين الجموع المحتشدة التي تصرخ وتنادي لبيك يا حسين.. وفجأة قرَّروا تجديد الولاء عند جسد ابن الزهراء، فردّدوا «أبد والله يا زهراء ما ننسى حسينا» وأنا كنت أضج معهم بذلك النداء ولكنّني أحب كلمة (عهد) بدلاً من (أبد) فكان لي ما أردت وأصبحت ممن عاهد الزهراء عليها السلام تحت قبةٍ تجتمع فيها الأنبياء عليهم السلام ورددت ذاك النداء بفنون الكلام وكأنَّ هذا النداء ترتيل قُرآن مجيد على لسان عاشق قديم!، وما إن حان وقت الخروج وإذا بي أقفُ مكان دفن الرأس المفصول عن البدن!، وفي تلك اللحظات صرتُ أنوح وألعن شمراً لعناً وبيلاً، ولا أقف عند هذا الحد بل وأردد حيدر.. حيدر.. ووقفت ثابتاً بجانب حائطٍ صغيرٍ والدمع يتلألأ من كل العيون الباكية وكأنه بلورٌ بل ألماسٌ من الماء المسال لأجل قربان السماء، هنا عرفت بأني أقف في قلعة البكاء مع سرٍ من أسرار النَوح والعزاء، فبدأت بسرد الهموم المترامية والتي تكالبت عليَّ في الحياة ولكنَّني توقَّفت فور ما ذكرت هُموم سكينة وهي تضرب فور السقوط على جسد أبيها، هنا كان للدمع حرارة جعلت أحد الزوار يأخذ دمعاً أريق على خدي ويضعه على وجهه.. فصَدمني!، وقلت في نفسي «أيُّ حُسينٍ

أنت يا حسينُ!» فحتى الدمع المراق لأجلك يتبرَّك به الزوّار!
فما أجلّك يا حسين وما أعظمك فإني لم أشاهد في حياتي زواراً
أوفى من زوارك سيدي يا أبا عبد الله الحسين.. فعليك السلام
أبداً سرمداً، بعدها خرجت لأُصليَ بضع ركعات وأحسست
بأني مهمومٌ فشرعت مجدداً لأشارك مَنْ ينعى الحسين عليه السلام
وصرت ساجداً أشكر الحسين عليه السلام على الدعوة الخاصة
هذه.. ولم أزل ساجداً حتى دخلت المواكب بتلك الهيبة وتلك
الأصوات العملاقة التي تهتف بمختلف ألحان البكاء.. لم أكن
أشعر بالوقت أبداً في هذه اللحظات؛ وعيناي بعد أن شاهدت
قبر الدماء صارت تأبى إلا أن تتلوَّن باللون القاني إلى أن قالت
الألوان بأسرها: ما أجملكَ من لون فالدماء منك. والحب
منك! وما أقسى حياتَكَ فلقد صرت سواءً مع ذلك اللون الذي
تلوّن به جسد ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!، ورأيت بعين القلب
ذلك السهم المثلث ذا الشعب الثلاث؛ الذي توغل في أحشاء
الكريم ابن الكريم الحسين بن علي عليه السلام ورأيت أيضاً دماً يفور
كالميزاب ورأيت وجهاً ملطخاً بالدماء ينادي «هكذا أكون حتى
ألقى الله وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مخضبٌ بدمي وأقول:
يا جدي قتلني فلان وفلان»[1]، وهنا في هذه اللحظة شاهدت
هلال بن نافع (لع) يقول: «كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود
بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدم أحسن منه وجهاً

(١) الإمام الحسين: استراتيجية وموقف: محمد باقر: ص ١٨٧: طبعة دار العلوم.

ولا نوراً، وقد شـغلني نور وجهه عن الفكـرة في قتله!»..، هناك في كربلاء تشـعر أنّ كل الكائنـات تُتمتم معك ولا تهدأ ليل نهار فهـي تعيش في محيطٍ عـرف عبر العصور والأزمـان بأنه محيط قتل الحسين عليه السلام؛ محيط

«أمـا مـن مغيـثٍ يغيثُنـا؟.. أمـا مـن ذابٍّ يذبُّ عـن حرم رسـول الله»[1]، فلا يمكنك الهـدوء وعدم الإصغاء لجميع تلك الأصوات التـي تتردد في كل لحظة وتهمس في أذن كل زائر في كل ثانية ودون توقّفٍ على مدار الساعة.

---

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس: ص ٥٧.



تقبيل السيوف،،

«السلام على من قبّلته السيوف وعانقته السهام وغدا محراباً لساجِدَةِ الضُّبا..»

فور الخروج من جوار القبر المضاء بالبكاء والدماء وجدت نفسي بقرب قبر حفيد الإمام الكاظم عليه السلام وهو السيد إبراهيم المجاب، ولكن ما إن قررت الخروج وجدت غرفةً مضاءة بلونٍ أحمر قاني وبها نوع من المشاعر الحزينة الخضيبة بالدماء.. دخلت وإذا بالجنون يبدأ وبالصراخ يعلو وبخَدمة الحرم الشريف يدخلون وإذا بي أنا! أندبُ «يا حسين» فهذه هي الصخرة التي نُحر عليها خامس أهل العبا وسيّد الإباء.. رفض قلبي إلاّ أن تُسكب ها هنا الدمعات وتعلو الصيحات فهذه الصخرة شهدت حزَّ نحر الحسين بالظُّبا وهنا سمح التأريخ لنفسه أن يُسجل كيف ضربت زينب، وهنا أصبح رأس الحسين الشهيد فوق سن الرمح مُنصوباً وهنا صارت الرباب تبكي وتئن، وهنا هبطت الأشهب الدامية لتعزي العترة الطاهرة.. هنا أصبحت لا أسمع ولا أفهم ولا أعي!؛ بل صرتُ لا أرى إلا ألوانا من المصاب.. وفوراً شعرت بدخول سيد المحراب عليه السلام ورأيته في خيالي ممسكاً

بطرفٍ من ثياب ويمسحه بتلك الصخرة التي شربت أطهر الدماء فقد وربي كنت أشاهد عروق الدماء التي حُفرت رغبة في الخلود مع اسم الحسين عليه السلام ابن أطيب الأنساب وأشرفها ابن فاطمٍ والكرار وجده النبي الأعظم المختار؛ الذي جاء إلى الطف بانحناء وانكسار، فهذا حبيبه وفرخُه وسبطه وريحانته مقتولٌ ظلماً وطغياناً.. لقد كانت تلك الثياب مُضَرَّجةً بالدماء وهي تعانق الصخرة؛ وبَدَت وكأنَّها تصرخ فشعرت من ذلك بحُرقةٍ وحرارةٍ شديدةٍ فشاركتهما بالصُّراخ وحملني الخُدام إلى خارج تلك الغرفة بعد أن صرتُ أصرخ بصوتٍ عالٍ قد يكون مزعجاً هناك!، فقد كنت أردد كل ما حفظته من نعيٍ وكلمات لأعزي بها صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، وأكثر تلك القصائد التي كانت تتجول معي في تلك الغرفة..

غريباً أرى يا غريب الطفوف	توسد خديك كثبانها
مصابٌ أطاش عقول الأنام	جميعاً وحير أذهانها
تركت حشاك وسلوانها	فخل حشاي وأحزانها
قد استوطن الهم قلبي فعفت	لك الغانيات وأوطانها
أفق لست أول من لامني	على وصل نفسي تحنانها
فكم لي قبلك لواحة	تشاغلت مطرحاً شانها

والكثير الكثير غير هذه الكلمات؛ ولكن هذه الكلمات كانت ترن رنين الأجراس في عقلي فكيف توسد خد الحسين

عليه السلام على هذه الصخـرة! وكيف تمكـن الدعي ابـن الدعي أن يفعل فعلته الشنعاء!، حقاً لا أعلم..؟ ولا يسعني الشرح أو حتى الوصف أو حتى أن أسـافر بخيالي القاصر! وهذا العشق الإلهي ليـس بفعل عاطفـي؛ بل هو فعل ناجم عن عقيدة فطرية راسـخة تقول: بأن الحسـين سيد شـباب أهل الجنة قد قتل بطريقة شنيعة فأحد اللُعناء رماه بحجر وآخر بسهم وآخرُ قد حز وريده!، ولعينٌ وطئ صدره الشـريف بالأعوجية؛ وهي من تلك الخيول التي لا ترى ما أمامها.. حقاً ألا لعنة الله على القوم الظالمين.



شيخُ الأنصار وأنصارُ الحق،،

«إن ربَّ الكـون قـد أوحـى لهـم
[زلزلوا كربلاء زلزالها]»

حبيب.. شيخٌ عرف معنى «عشق الحسين» فكما يُقال إن حبيب ابن مظاهرٍ الأسدي انتقل من دياره إلى الكوفة ليكون بجانب أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام حبيبه فكان دوماً ينادي الحسين عليه السلام بـ حبيبي حسين.. وهنا وقفت أمام شُباكه لأنظر إلى شموخ المسنين في كربلاء؛ وهو الإنسان الأكبر سنّاً في عرصات كربلاء وهو المقاتل الشرس الذي دافع عن ابن خير الأوصياء عليه السلام، فقلت: «يا حبيب بن مظاهر قوم شيل العلم واظهر».

هنا حاولت البحث عن قبر الأنصار، ولكني لم أجدهم في مكان هنا، فسألت أحد خدمة الحرم الشريف فقال لي إنهم بجانب مولاي الحسين أبي عبد الله عليه السلام فعدت أدراجي ودخلت مجدداً لأزور هؤلاء الأنصار وإذا بهم في زاوية الحرم ولهم شُباكٌ واحد قد كتبت فوقه جميع الأسماء؛ حقاً هُم أُناسٌ عشقت آجالها ورب الكون قد أوحى لها هم قومٌ خلقوا شهداء

وغـدا صوت عابـس يرنُّ في أذنـي «حب الحسـين أجنَّني»، هنا بدأت بترديد قصيدة أحب أن أسمعها في لحظاتٍ مثل هذه:

ثم جاء الشاكريُّ عابس وهو ينادي

بحسين قد جننت وبه هام فؤادي

ورمى السيف ببأسٍ قاصداً نحو الأعادي

كلما يرمى بسهمٍ يتقيه بالأيادي

واعتلى صوت الوريد

لا حياة للعبيد

سوف نمضي ثم نحيا سُعداء

كربلاء

نحن جئنا للفداء

و هتفنا بالدماء

سوف نغدو من ضحايا

كربلاء

حقّـاً هم خير أصحاب عرفهم الزمان فهم المصداق الأتمُّ

لقـول سـيدهم: «لا أعـرف أصحاباً أوفـى من أصحابـي» وهذه الكلمة قد أصبحت وسام فخرٍ علي صدر الزّمان وهالة نورٍ على جبيـن التأريـخ وإن أبى؛ فهذه الأمـور لا يتدخل فيهـا المجانين كأمثالي ليحيوها أو يعطوها هيبة؛ بل هي الهيبة.. وهي العظمة.. وهي الحياة.

تل الانتصار،،

«فـي هـذه القضيـةِ أصبـح نغـمُ الانتصار هو صوت الأذان..»

ما إن خرجت من حرم الإمام الحسـين عليه السلام وإذا بـ«التل الزينبـي» يتجلَّـى بلغة الانتصـار أمامي، وهنا عـلا مني الصوت وصـرت أقـول: «يا حبيبي يا حسـين، نور عيني يا حسـين، أنا لا أنسـى الحسـين، وهو دامي الودجين» وسـلَّمت نفسي إلى قلبي وعقلي، لأنَّي الآن على يقينٍ بأنِّي سـألتقي زينب الحوراء عليها السلام فـي هذا المكان الطاهر؛ ولكنِّي تذكَّرت بـأن غداً هو يوم تجديد اللقـاء!، فوقفت هناك ونظـرت إلى القباب العاليات وأنا أسـأل الحسـين والعباس عليهما السلام أين كنتم أيها الأحباب حينما ما ضربواً زينـب والأطفال..؟ لقد سُـبيت مع الأيتام وتلك السـياط تتلوّى تلعـب علـى رأسـها يـا كـرام!.. شـعرت برعشـة الأرض وكأن الأرض قـد بكـت فمن هنـا أخذوا زينـب إلى الشـام.. أيا صلاة الليل أما اشتقتي إلى زينب حتّى الآن..؟، من على هذا التل أُعلِنُ للعالم يومُ انتصار الدم على السيوف والرماح.. أيا حكاية الآية! كم صبرتِ يا آية؟ أنا هنا من أجلك صدقيني! فرحلتك الميمونة

قد هبطت بي في أرض كربلاء المفتونة فإني بدأت بالاعتقاد بأن كربـلاء عشـقت الحسـين فأردته قتيلاً كـي يُدفن هنا بيـن طياتها وتحتضـنَ بدنه الطاهـر أبد الدَّهـر!.. فهـي أرض المتناقضات، عشـقت وقتلت في آن واحد، فالسـلام على قلب زينب الصبور الشـكور.. زينب! هي آية الصبر والإبتلاء.. وهي شـريعة الحزن والبكاء..

خيامهم،،

«ومـا احترقت تلك الخيام إلاّ تأسِّـياً ببباب الزهراء..!»

علـى الرغم من إنـي لا أعرف طُرق كربـلاء إلا إن الفطرة قادتني إلى مكانٍ أحرقت فيه الخيام وسـلبَ فيه الخباء وضربت فيه الهاشـميات.. السـلام على النسـوة البارزات.. وصلت إلى مكان مخيم أهل البيت عليهم السـلام؛ وهو المخيم الذي نصبه العباس عليه السلام وسمعت صوتاً يردد..

سـمعي يمه فاطمة سـمعي يـا مظلومة
من وصل ظعن الحسين لأرض الطفوف

..

هنا عرفت بأني الآن في مكان صرخ فيه الأيتام «يبو فاضل قـوم لينه حرقوا خيمنا علينا» وعَلا الضجيج وهنا شـاهد مولاي السـجاد عليه السلام.. الخيـل بالأطفـال تتعثر وزينب بالتـراب تتعفر ومِن هنا أُطلقت شـرارة سبي النسـاء وإحراق الخِباء، هنا خيولُ البكاء سـلبتني قوافي الرِّثاء وأحسسـتُ بأنَّ جحافل الأشقياء قد

هجمت على هـذا المخيم؛ ولم تمنعهم النيران.. ولا الأطفال.. ولا النسـاء! فهم بشـرٌ قد مُسـخوا وصاروا [لا بشـر]!.. من هنا سـمعت زينب نداء الحسـين عليه السلام.. يـا علي علـى الدنيا بعدك العفا، وشاهدت تلك الخيمة التي أسقط الحسين عليه السلام عمودَها المُنتصِـف في وسـطها بيده ليعلن سـقوط العلـم والراية ويعلن انكسـار ظهره، وهنا رجع الحسـين عليه السلام بطفل شهيد قد سالت مـن نحره الدماء، وهنا جاءَ بجسـدٍ كان خضابه الدماء وبدلاً من لبـاس الأفراح غدا مكفَّناً بعد نهب السـيوف وطعن الرّماح!! لـم أتمالك نفسي كثيراً هنا؛ فالنيران قد أحرقت قلوب الأطفال وهنا فـي نهايـة المطاف سَـألت زينب عليها السلام علي بن الحسـين عليه السلام عمّـا يجب عليهم أن يفعلوه بعد مصـارع أخوتها وبنيها ومصرع الحسـين عليه السلام.. فقـال عليه السلام كلمته التاريخيـة التي أدمت قلب التاريخ، وأصبحت كتب التدوين والتأريخ تئن أنين الفاقد.. قال عليه السلام: «عمّتـي زينـب.. عليكُنَّ بالفـرار» في تلـك اللحظة التي نطقت أنا فيها بهذه الحروف شـعرت بأنّ السـماءَ ستنطبقُ عليّ، وعاد المطر في هطوله ليبكي! ولم أكن أعلم بأنَّ الكلماتِ تُبكي السماءَ هنا كثيراً هكذا، حقاً شعرت بالمعجزات..

ضوء القمر،،

«بين الكفوف والعباس كان حوار الأقمار..»

فور هدوء المطر وسكونه صرت راجعاً إلى الفندق لآخذ قسطاً من النوم وبعدها أكمل حكاية البكاء في أرض كربلاء، في رجوعي نظرت إلى القمر وكان ضوؤه منيراً وكأنه يشير إليّ بإصبعه إلى مكانٍ ما، فسرتُ ماشياً بين المواكب الصادحة بالعشق والناطقة بالحب، فما إن صرت قريباً من الفندق حتّى أخبرني قلبي بأنّي قرب مكانٌ آخر لا أعرفه ولكنه مكانٌ له هيبةٌ أيضاً، فمشيت قليلاً وإذا بمقامٍ صغيرٍ كتبَ عليه « هنا موقع سقوط كف العباس عليه السلام الأيمن » فتوجهت إلى هناك وسألته سؤالاً واحداً.. يا عبّاس! من الذي قطع هذه الكف..؟، ورفعت رأسي وإذا بسهمٍ يقودني إلى مكان قطع الكف الأيسر..! فذهبت وسألته نفس السؤال؛ فأتي الجواب بسرعة: «بأنّ أمّي فاطمة عليها السلام ستأتي في المحشر وتسأل هذا السؤال فكُن مترقباً لسماع الجواب».. أنا إلى هذه اللحظة لا أصدق بأني في كربلاء وأنّي أمشي على أرضها وأنّ هنا قد دارت رحى المعركة؛ هنا كان

مصرع قمر العشيرة وهناك مصرع الحسين وفي ذلك المكان قُطّع عليٌّ الأكبر وهناك انقطع شِسْعُ نعل القاسم وهناك نبت السهمُ في نحر عليٍّ الأصغر وهناك سقط عابس وهناك مات ابن القين وعلى هذه الرمال كانت الحوراء زينب حاسرةٌ..

حكايا،،

«يسمعها ويدونها الزمان..»

في الليلة الأولى لم أكن أعرف أين سأجد صديقي «الرَّادود» جعفر! فهو ما بين هذه الملايين التي تمشي والعشق يحدوها في كربلاء، ولم تكن شبكة الهواتف تعمل بشكل يسمح لي بالاتصال به في هذه الأرض، فعند خروجي من حرم العباس عليه السلام قلت للعباس إني أحبُّ أن أجد هذا الإنسان هنا لكي يُعينَني على الحُزنِ والبُكاء، فكان الجواب ومِنهُ سريعاً جداً جداً، ففور خروجي من حرمه المبارك كان جعفر واقفاً في موكب «عشاق الحسين» وهو يُمارس شعيرة ضرب السلاسل (الزنجيل)؛ والشيءُ الذي زادني يقيناً بأنَّني قد وجدته بفضل جواب العباس عليه السلام؛ وجدته وفي يده سلسلتان وجميع من حوله في يد كُلِّ واحدٍ منهم سلسلةٌ واحدةٌ؛ فأخذت الثانية منهُ بعد أن عانقني وعانقته وأكملت المسير في الموكب لأول مرة في ضواحي كربلاء، ولم أكن نائماً لمُدَّةٍ ليست بقصيرة ولكنَّ النومَ قد طار مِن عينيَّ مُجدَداً بعد تلك الحكاية.

حكايةٌ ثانية شاهدتها بعينيَّ.. بعد يوم الأربعين بليلةٍ

واحـدة دخـل طفلٌ مشـلول بشـكل كبير جـداً؛ فلا قدمـاه كانتا سـليمتين ولا يـداه ولا حتى وجهـه وكانت هذه المشـاهدة مني للطفـل هي الأولـى في حرم العباس عليه السلام فخرجتُ ماشـيا إلى حرم أبي عبد الله الحسـين عليه السلام وهناك وبعد دخولي والتَّسليم وقراءة الزيارة شـاهدت هذا الطفل مجدداً مـع أبيه؛ ولكن! هذه المرة ألصقه أبوه بالضريح، وأنا قد خررتُ ساجداً وكنتُ أناجي رب العباد، فسـمعت ضجيجاً وبـكاءً وصراخاً وصيحاتٍ تنادي يا حسـين فرفعت رأسي لأشـاهِد الناس وهي قد تجمعت بقرب الطفل وهو واقفٌ على رجليه سليماً معافى وقد مزَّقوا ثيابه تبرُّكاً بلمسـة الحسـين عليه السلام التي شـافته ولقد خرَّ والد الطفل ساجداً للـه باكياً وجميع من فـي الحرم صاروا يبكون وهنـا دَعَوا بدعاء «أمـن يجيـب المضطر إذا دعاه ويكشـف السـوء» وكان في هذا الدعاء نوعٌ من الحرارة الكبيرة وقد ملأت المكان بأسره.

عرفت أمراً عجيباً في كربلاء!.. إن الإمام الحسـين عليه السلام والعبـاس عليه السلام يضيّفون هذه الملاييـن وفيهم الأغنياء والفقراء على حدٍّ سواءٍ! فإن لم يكن لديكّ مأوى لِتنامَ فيه؛ فدعوةُ الحسين بن علي عليه السلام شـاملة؛ فكلُّ ما عليك هو دفعُ مبلغٍ كتأمين لتأخذ لحافـاً للنوم بين الحرمين أو في صَحني الضريحين أو حتى على الأرصفـة في حارات كربلاء وبعد أن تسـتيقظ فـإنّ كل ما عليك هـو إرجـاع اللحاف إلى المسـئولين لتسـتعيد مبلـغَ المال الذي دفعتـه وإن لم تكن تملك مالاً فعليك أن تُقدّم للمسـؤولين هويّة

تعريفيّة رسـمية ثمّ تقضي ليلتك بالنوم الهانئ على أرضِ كربلاء المقدسة.. حقاً إنَّ الحُسينَ عظيمٌ.

والأمـر الذي كان يجعلني أشـعر بأن الحسـين هو معجزة الكـون الخالدة، أنّ جميع الخدمة في الأسـواق كانوا بعد توزيع الطعام يقولون: «تفضل عيني شـاي أبو السـجاد».. «تفضل زاير عشـا أبو فاضل»، أجل كانوا يردّدون ويهتفون بهذه الأسـماء في اليومِ كُلِّهِ وغالبـاً ما يكونُ الطعام للتوزيع والبركة وجميع الناس تأخذَ من هذا الطعام والشـاي الكربلائي الساخن الشهير والذي كان يوزع بشـكلٍ مجّاني، جعلتُ أفكرّ كثيراً وأتسـاءل: أي لجنة خيريـة في العالم تفعل ما يفعله الحسـين عليه السلام بـل أيُّ مخلوق يمكنه فعل هذا الأمر؟، فهل أحدٌ يستطيع أن يَحُثَّ على الخيرات وهو في قبره كلاّ.. ولكن! ليعلم العالم أجمع أنَّ الحسين عليه السلام حـيٌّ في ضمائرنا جميعاً وله رايات منشـورة فـي قلوبنا وضريحٌ فـي صدورنا نطوفُ حوله فـي كلّ آنٍ وفي كلِّ لحظة وكل ذرَّات وجودِنا.. فهذا هو الحسين.



عشاق الحسين عليه السلام،،

«خذ يا سيدي عهد الوفاء والله يشهد..»

في الليلة الثانية لي في كربلاء وصلاة الصبح كانت في حرم ساقي العطاشى، كنت على موعد مع موكب «عشاق الحسين»؛ هو موكبٌ يصدَحُ بالنداء؛ وكانت الرواية التي كتبها الموكب هي الخروجُ من جانب مخيم الآل الأطهار عليهم السلام والمشيُ إلى أن يدخُل الموكبُ حرم الإمام الحسين عليه السلام ويَقِفَ بأكمله أمام ضريح الحسين عليه السلام ويصرُخ بصرخةِ الحَقِّ المُدَوَّية التي لها صدىً في كل الضمائر وهي الصرخة التي سيظل التأريخ يبكي لها.. يا حسين.. فحتى منارات الحرم تصرخ معنا أجل.. فلقد سمعتها! إن الحسين كعبة العشاق؛ ويمكنني رؤية العشق في وجوه الجميع إلاّ وجهي فهم من يراه.. وبعد تلك الصرخات يخرج الموكب لاطماً باكياً من حرم الإمام الحسين عليه السلام إلى ما بين الحرمين وهنا تكون النداءات كلها «واعبّاساه» لأنَّ الدخول يكونُ مهيباً إلى حرم العباس عليه السلام فتختلف النداءات بين الحين والآخر؛ فالنداء الأول كان «يا عباس جيب الماي لسكينة»

وكانّ الأكثر تأثيراً فيَّ ولا أعلم لماذا؟ ولكنّني أشعر بأن سُكينة مازالت تطلب هذا الطلب ولا تُجاب!، وأشعر بأنَّ الأرض قد ارتوت من دم العباس عليه السلام والقِربة المُقطعة التي أريقَ ماؤها قد رَوَت عطش الأرض كلها حتّى أضحتِ اليومَ تفور ماءً معيناً من تحت ضريحه المبارك، وفور خروجي من الحرم باكياً على مسلك العاشقين؛ وقد شعرت بأني سِرتُ في عالمٍ منَ القتلى الشرفاء وانتهى الموكب في تلك الأثناء.

يومَ لا مُعين،،

«هو بلا أدنى شكٍّ.. يوم الأربعين»

ليلة الأربعين لم تكن ليلة عادية؛ فالمواكب كانت بلا توقف ولقد شاهدت مختلف المواكب ومن كل الدول والمناطق البعيدة والقريبة وبلغاتهم المختلفة كانوا ينعون الحسين وزينب عليهما السلام، في تلك الليلة كانت لي وقفةٌ مع الفضاء! إذ صعدت إلى أحد سطوح الفنادق الملاصقة لحرم أبي الأحرار عليه السلام وتكلَّمت مُؤبناً إيّاه.. ومعزياً صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بكلمة صغيرة جداً كانت مدتها أقل من دقيقة بقليل، ولكنها كانت رسالة للتاريخ بأنّي قد مررت من هنا.. وفي تلك الأثناء وأنا على عُلوٍّ لا يُسمح للزائرين بالصعود إليه إلاّ إن كانوا ممن سيظهرون على شاشات التلفاز.. وصديقي الرادود «جعفر المقهوي» كان يقرأ قصيدةً وبشكلٍ مُباشر؛ في تلك الأثناء وأنا على ذلك العُلو كنت قريباً جداً من القبة الشريفة؛ فشاهدت الطيور التي تنظف الغبار وتتبرك به من فوق قبة الحسين عليه السلام، وأيضاً شاهدت أفواج البشر الممتدة إلى الأفق البعيد في الطريق المؤدي إلى الدخول في حرم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكنت في حرم الحسين عليه السلام فترة طويلة في تلك

الليلة؛ فرأيتُ فور ما سافر خيالي وطاف عبرّ الأزمان تلك اللحظة التي قالت فيها زينب عليها السلام: «أيْ عمر - بن سعد - أيُقتل أبو عبد اللـه وأنت تنظر إليه؟».. «ويحكم أما فيكم مسـلم..؟» وسـمعتُ صهيلَ ذي الجناح جواد الحسـين قائلا: «الظليمة الظليمة من أمة قتلـت ابن بنت نبيهـا» ورأيت رجوعه إلى الخيام مخزِياً والسـرج عليـه ملويّـاً ولقد هالني خـروج المطهرّات من الخدور ناشـرات الشـعور لاطمـات الخـدود وداعيات بالويـل والثبُّـور، وفي هذه الرحلة القصيرة إلى عصر عاشـوراء شاهدتُ سكينة وهي تهمس في أذن الجواد وتقول: «أعلم إن أبي كان عطشـاناً، فهل سُقيَ أبي أم لا..؟» وهنـا توجّـه ذو الجناح وهو يصيح إلى الفرات مُسـرعاً وألقى بنفسه هناك لينهي حياته فلا عيشَ لهُ بعد الحسينِ أبداً.. وهنا توقَّفَ هذا السَّـفر فالخيال قد أصبح قاصراً عن اسـتحضار ما في الكتب من كلمـات!! وهنا أجهرّ الداعيّ إلى الله بالأذان من تلك المئذنـة وكأنه ينعى الحسـين عليه السلام بصوته الشّـجّي، وفور إعلان دخـول يـوم الأربعين أصبحـت الزيـارة ذاتَ طعمٍ نقيّ لا تشـوبه أيَّة شـائبة فالآن وقت قراءة زيارة الأربعيـن.. وانطلَقت الكلمات وقررت قراءة زيارة الناحية المقدسـة في ذلك الوقت.. وفي نفس الوقـت كان هنالك موكبٌ قد بدأ مقرؤهم بقراءة الزيارة؛ فدخلت معهـم في تلك الحلقة الجالسـة الباكية يـوم الأربعين؛ وهنا زلزل الحرم وصار أحمراً بلون الدماء وكأني بالمآذن تسجد وتخرّ باكية لتلك الكلمات.. «السـلام على الشـفاه الذابلات» ولم يكن هناك من يتمكن من عدم الإنصات لتلك الحروف المُحلّقة في الهواء..

حقّاً كانت لحظاتٍ للتاريخ إذ كان البكاء أمام تلك القبة ولم يكن القارئ يتلو أيَّ نصٍّ سوى نص الزيارة المقدسة، بل جعل تلك الزيارة هي التي تُترجمُ الحديث والنعي والبكاء.. وبعد الفراغ كنت على موعد مع الزيارة كذلك وكانت زيارة الأربعين أيضاً؛ ولكنّها في تلك المرّة كانت مع الشيخ الـ(بصراوي) الذي سبق وأن قرأ لنا بعضاً مما يحفظ من نعي الحسين عليه السلام وقبل البدء قال:

قم جدد الحزن في العشرين من صفر
ففيه ردت رؤوس الآل للحفر

آل النبي التي حلت دماؤهم في دين
قومٍ جميع الكفر منه بري

يا مؤمنين احزنوا فالنار شاعلة
ترمى على عروة الإيمان بالشرر

ضجوا لسفرتهم وابكوا لرجعتهم
لا طبتِ من رجعةٍ كانت ومن سفر

أحسستُ بالأرض وكأنَّها قد خرَّت ساجدةً وبالسماء كأنها قد أسالت ماءها دماءً وبالجبال قد انحنت ركوعاً وبكل المخلوقات العابدة المسبحة وهي تنادي.. لبيك يا حسين.. وجميعاً صرنا نهتف مع هذه الكائنات لبيك لبيك لبيك لبيك... دون توقُّف، وبعد ذلك النعي بدأ الشيخ بقراءة زيارة الأربعين

وكـم لهـا من فضل هـذه الزيارة فـلقـد رُوِيَ عَن الإمام الْحَسَـنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «عَلامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلاةُ إحدى وخَمْسِينَ، وَزِيَارَةُ الأَرْبَعِينَ، وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[1]، فأشخاصٌ مُعّينون هُم من تكون لهم زيارة الأربعين مهمة جداً ولها خصوصية في حياتهم، وهـذا ما رأيتـه في وجوه الزائرين هناك، فالزائـرون كانوا يُقتلون ويشردون في الصحاري لا لشيءٍ إلا لزيارة الأربعين، وفي مساء تلـك الليلـة كانت مواكب التشـبيه تطـوف أمام عينَي فشـاهدتُ رؤوسـاً مرفوعـات علـى الرمـاح العاليـات، ومواكـب التمثيل تطـوف بين الحرمين وترتفع الصيحات والنداءات، وَلكم كانت هذه المشـاهد مؤلمةً جداً.. حقاً لسـت أعرف ما الذي جرى في الواقـع ولا يحـق لخيالي القاصر أن يتخيل ذلـك؛ فكل ما جرى أمامي الآن هو تمثيل لبعض ما وصلنا من الكتب والروايات التي تروي واقعة الطف الفظيعة.. كانت ليلة الأربعين ليلة أترك التأريخ ليتحدث عنها وكأنّي قد شـاهدت بعيـن القلب جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يصيح «يا حبيبي يا حسين.. فلم يسمع جوابا؛ ثم قـال: حبيبٌ لا يجيب حبيبه.. وأنَّى لك بالجواب وقد شـحطت أوداجـك على أثباجك، وفرق بين رأسـك وبدنك، فأشـهد أنك

---

(١) الشيخ الطوسي، المولود بخراسان سنة: ٣٨٥ هجرية، والمتوفى بالنجف الأشرف سنة: ٤٦٠ هجرية في كتابه التهذيب: ٦ / ٥٢، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.

ابنُ خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين...»[1]، وأنا أشهدُ يا أبا عبد الله أن دمك قد سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنَّ وما بينهنَّ ومن يتقلّبُ في الجنة والنار من خلق ربنا وما يُري وما لا يُرى، وأنت يا حسين من أقيمت عليك المآتم في أعلى عليين تلطم عليك فيها الحور العين وتبكيك السماوات وسكانها والجبال وخزانها والسحاب وأقطارها والأرض وقيعانها والبحار وحيتانها ومكة وبنيانها والجنان وولدانها والبيت والمقام والمشعر الحرام والحطيم وزمزم والمنبر المُعظَّم والنجوم الطوالع والبروق اللوامع والرعود القعاقع والرياح الزعازع والأفلاك الروافع.. أجل.. هو الحسين ولا غيره؛ الذي ماجت السماوات وتزعزعت الأرضُ من أجله.. إنَّ يوم الأربعين فيه تجددت الأحزان وتذكَّرت مولاتنا زينب تلك المصائب وصارت تناشد قتلاها أن قوموا وانهضوا، وفي هذا اليوم العظيم كانت السماء تبكي، والشمس والنجوم قد أعلنت الحداد، وفي هذا اليوم بلَّ السجاد عليه السلام لحيته بفيض الدموع واستمر فيضان دموع هذا العظيم إلى يوم وفاته في الخامس والعشرين من محرم بعد عمر ناهز الأربعين عاماً.

يا صاحب الزمان ألم يكن لك هذا النداء «لأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً

---

(١) ما بعد كربلاء، الشيخ محمود قانصو، ص ٨٧.

حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب».. فمتى يا سـيدي يـا صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف! متى ترتفع رايتك الغراء وتُعلى رايات الحق في كل مكان، فإنا جُنُودُك يا ابنَ معجزة الأزمان...

ندب صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف،،

«إليك إليك.. أيها الإنسان..»

في اليوم الأخير وقد كان يوماً لندبة صاحب العصر والزمان وشريك القرآن عجل الله تعالى فرجه الشريف فكان القارئ يقرأ بصوتٍ حزين ويُدخل بعض النعي في القراءة وكان يشجي جميع من كان يقف في حرم الإمام الحسين عليه السلام؛ وكم هي النجوى جميلة هناك والسؤال الذي هيج الحضور وحتى القارئ إذ نفسه سكت فترة وجيزة حينما قال: مولاي.. أين استقرت بك النوى..؟ فعلاً كان سؤالا محيراً وغامضاً جداً جعلني أقف وأنظر قبة الحسين عليه السلام وأناجي الإله وأقول: إلهي وربي وخالقي يا رب الحسين بحق الحسين إشفِ صدر الحسين بظهور الحجة.. هنا كانت للقارئ وقفاتٌ مع الطفل الرضيع الصغير، هذا العملاق الصغير الذي بكته أعين النجوم والشهب التي تحوم، هذا الطفل الذي لبس حلة الدماء ففي نحره غار سهمٌ لئيمٌ لعينٌ والحسين عليه السلام رفض إلا أن يهدي هذا القربان ورمى دماه إلى السماء ليسجد العرش ويصلي على الدماء وتطوف الملائكة لتُسجل حضوراً لعزاء عبد الله الرضيع الصغير كيف لا وهو ابن الحسين بن علي عليهما السلام،

وهتف القارئ بـ أين الطالب بدم المقتول بكربلاء.. هنا سمعت زينب تنادي: لقد أحرقوا الخيام يا مهدينا وشرَّدوا الأيتام في الفلاة ولقد سُبينا مقيَّدات بالحبال الغليظة والشمر اللعين كان يَسُبنا والعليل يترَّنحُ من شدة المرض..، فمتى الظهور يا صاحب العصر، فلقد أصبح العالم ضيقاً جداً علينا ولم يترك مكاناً لنا وأصبحنا تائهين بين زمرة اشترت الدنيا وباعت الآخرة ودفعت مقدماً أفعال دخولها إلى النيران والسعير، ولقد مات التصبر أيها المحي الشريعة، وأكمل القارئ الدعاء بطريقة شجية مبكية تركت فيّ أثراً لن يزول.

بعد هذه اللحظات شاهدت أحد أبناء المرجع الذي تعلمت من علومه الكثير وكانت لي رغبة كبيرة في تطبيق ما طرحه هذا المرجع الديني وهو السيد محمد الحسيني الشيرازي قدست روحه الطاهرة فذهبت للقائهِ وهو السَّيِّد «مرتضى الشيرازي» وكان في حالة الدعاء، فما كان مني إلا تقبيل تلك الأيادي التي لامست ضريح الحسين بن علي عليه السلام.

مضيف الوئام،،

«وما طعامه إلا بركة وصحة للأنام..»

فـي ظهر اليوم الأخير وقبل الرحيل كنت مدعواً إلى وجبة الغـداء ولكـن بقرب قبـر العباس عليه السلام وفي مضيفـه؛ فصعدت إلـى ذلك المكان، وشـاهدت فيه من الخيـرات الكثيرة وعرفت هنـاك بأن هذا الطعام أيضاً يُوَزَّعُ للجمـع المليوني الذي يتواجد فـي كربلاء على مدار العـام من بوابة كبيرة فـي الجهة الخارجية مـن الحرم، ولكـن الوفود التي تأتي من خـارج كربلاء لها الحق في أن تجلس على تلك الطاولات التي يقدم عليها الطعام بإسـم العبـاس عليه السلام وجميـع من يدخـل إلى هنا يرغـب في الحصول على البركة في تناول الطعام فقط لا من أجل الأكل والشبع الذي ينشـده البعض، إنها قليلٍ من بركة العبـاس عليه السلام فالطَّعام تطبخ في أرجاء الحرم المباركُ وبأيدي شُـبَّانٍ عاهدوا الله على الولاء للآل؛ هناك شـاهدت بعـض الزوار من مختلـف البلدان والذين تمكنوا من الوصول إلى هنا وعانقوا هذا المكان، حقّاً لقد أصبح هذا المكان مُلتقىً للجميع من الفقراء والأغنياء والكُّل هنا متساوٍ أمام عظمة العباس عليه السلام.



نفحة القلم،،

«أسـرار الأسـرار تخرج من فوهات الأقلام..»

في الليلة الأخيرة كنت أعرف أنها آخر ليالي اللقاء بالأحباب في أطراف الليل وسكونه، فأخذت معي قلمي ومجموعة أوراق إلى الحرمين الشـريفين وفـي تلك الليلـة كان الحرمان والحمد لله المنان لا يضجان بالناس؛ فالناس قد رجعت ومنهم من يتجه الآن إلـى النجف الأشـرف ليعزي أميـر الكونين عليه السلام بمصاب نبـي الأحباب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فصرت أتنقَّل بيـن الأركان فَجَرَت هذه الكلمات نثراً تحت القبة الشريفة لقبر الإمام الحسين عليه السلام من جهة الجسد السليب..

يا سر البكاء

أيها الصلاة

والقنوت

والدعاء

أرضك كعبة العشاق

و ليس المسير عليهم بعملٍ شاق

وإنَّما لأجلك كلُ شيءٍ ذاب

يا حبيب الأحباب

و عشقَ الأطياب

لماذا أرحل وفي قلبي سراب..

عودةٌ وأمل في البقاء..!

لكني آمنت بالوصول إلى السراب

زيارتُكَ بالأمسِ.. كانت خيال

واليومَ للعشّاق أضحت نَوَال

..

فور سماعي قرار الرحيل

بدأت بالعويل

أسألك بحق الجليل

إلاّ ما أجبتهم بالدليل

وما أنا إلاّ عبدٌ ذليل

نظرت هيبة منحرك الجليل

صرتُ موقناً بأن الوصول إليك

ليس بمستحيل

أيها الحسين..

ذبت في ذكراك

و همت في هواك

و عهدٌ عليَّ لن أنساك..

وكانـت لي بعض الكلمـات تحت قبـة العباس عليه السلام في نفـس الليلة وقبـل الرحيل إلى الديار وكانـت الحالة عظيمة فقد كنت ممسكاً بالضريح وأكتب هذه الكلمات على الورقة..

هنا الجميع يصرخ..

لبيك يا عباس

هو صاحب الغيرة والإحساس

حقاً

أشعر برغبة في الصراخ

فهو الفدائي الأمثل

وجالب الماء الأول

هو بركان العزة والكبرياء

هو الساقي في يوم عاشوراء

ألسنا نقصد العباس..؟

هو ركنٌ من أركان الحج

هو فرعٌ من فروع دين المعبود

هو من رأسه بالعامود قد شُج

ألا لعنة الله على الظالمين

كسروا ظهر الحسين

بقتلهم الحصن الحصين

و النور المبين

هو قبلة الحاجات

وبينه وبين الحسين

مسعى الأميرات

ونهره العظيم

سر السماوات

أشعر بلون الدم

يصرخ في هذا المكان

فلا كفَّان

ولا عينانِ

وابن حيدر

يصرخ الله أكبر..

آهٍ..

أيها الضرغام..

أنشدك بحقك..

أتطلبُ معي ثأر ضلع مكسور..

ورأس منحور..

مع إمامٍ منصور؟

الوداع،،

«هو أصعب لحظات الحياة وأكثر اللحظات مملوءة بالبكاء..»

بعد أن كتبت كل هذه الكلمات وتحدثتُ بشوقٍ مع ابن الصديقة الطاهرة وابن عليٍ الكرار، تركت نفسي تتحدث بنفسها مع الجميع وقلبي يصرخ ويقول لماذا الآن..؟ لماذا أودع هذه العتبات الآن..؟ أوَلستُ أنا العاشق الولهان الذي دُعيت إلى هذا المكان..! لماذا الرحيل بعيداً الآن بعد أن تعلمت لغة الحزن وفنون البكاء ورسوم الرمال..؟!.

دخلت مجدداً حرم العباس في الليلة الأخيرة لأعلن الوداع والرغبة مجدداً في اللقاء؛ فدخلت منكسراً أرغب في معانقة لا أظمأ بعدها أبداً دخلت وكانت العتبةُ أول اللقاء وسألني أحد الأصدقاء من أرض الوطن «هل سألتَ كربلاء: ألم تشتاقي إلى جسدٍ غادر إلى السماء..؟» لكنني عرفت بأني شاهدت سليل عترة خاتم الأنبياء متواجداً برفقة الأنبياء وهو يجول في الصحراء ويبكي حسيناً كما عهدناه وسألت صديقي سؤالاً: ألم تكن الراية عربون دعوة ليس لها مثيل في الزمان..؟، وبعد

كل التساؤلات والرغبة في البقاء شاهدت الوقت وإذا ما تبقى كان منهُ فقط وفقط ساعة لأودع ابن الصديقة الشهيدة عليها السلام، فتلوت ذكرَ الوداع وكان الجميع يبكي على عادة من يجلس تحت ذاك البناء، وهنا غادرت ومشيت إلى قبة حمراء صبغت بالدماء ولبست إحرام الوداع وأول ما دخلت تذكرت الصرعى والقتلى الذين خاطبهم الحسين عليه السلام ولم يجيبوه، فكنت أسافر إلى عصر عاشوراء والفداء وتلوت الذكر وأنا خائف من الوداع فأقسمت عليه بضلع أمه الزهراء فهذا القسم كما يُقال لا يرده أي إمامٍ فحتى في لحظات الموت والوداع الأخير بينه وبين أخته زينب عليها السلام أقسمت عليه بهذا القسم الغليظ وأجابها بحق أمه الزهراء عليها السلام..أقسمتُ عليهِ وسألته أن يرجعني إلى هذه البِقاع المقدسة ولكنْ ليس وحدي وإنما مع أهلي والأحباب جميعاً لكي نندبه ونقيم العزاء أيضاً، لا أنسى أنني شاهدت شخصاً صغير السن على كرسي صغير متحرك بمساعدة الأب وكما يبدو على محياه أنّهُ كانَ من أهل القطيف أو الإحساء وكان الأب يدفعه وعيناه ملؤهما الحسرة على فلذة كبده فألصقوا الابن المُعاق بضريح الإمام الحسين عليه السلام والدموع تملأ أعين من حوله من الزائرين.. أمَّا أنا فسجدتُ مُقَبّلاً تلك الأرض الطاهرة وفجأة!.. استمعت إلى بكاءٍ وعويلٍ وصراخٍ غير الذي اعتدته في الأيام الماضية في هذا المكان المقدس ورفعت رأسي وإذا بهذا الولد واقفٌ على رجليه وهو يصرخ يا حسين يا حسين يا حسين.. والجموعُ التي تلتف حوله تبكي وأخذت تُقطّع من

ردائـه قطعاً لأنَّ هـذا الولد أصبح معافى بفضل الحسـين عليه السلام ولامستهُ أناملُ الحسين المُقّطعات المرملات في أرض كربلاء.. وبعـد أن سـألت من الحسـين عليه السلام بقيـة الحوائـج المختلفة.. حانـت لحظات الوداع ووقفت بطريقة اعتقدت إنها هي الطريقة الأقرب إلى قلبي.. وقفت وأنا رافعٌ يَدَيَّ إلى السـماء وأنظر إلى الضريح النوراني وأردد يا حسـين وأرجع خطوة خطوةً فشعرت بمعنى الفراق ولوعته وقبّلت أعتاب الوداع وكنت محزوناً فحتى طيور المريخ سـمعت صوتـي وأنا أناجيه «يا حبيبي يا حسـين.. نور عيني يا حسـين..»، وما إن خرجت من تلك البقاع سـجدت شاكراً المولى عز وجل على حضوري إلى تلك الأرجاء.



العودة إلى الديار،،

«بعيداً عن كربلاء..»

بعد الرحيل من أرض كربلاء حاولنا النوم في أحد البيوت فـي إحـدى ضواحي بـلاد السـلطان عليه السلام؛ وبعـد خروجنا من أرض العراق وفي الأثناء كانت لي وقفةً مع الكلمات مجدداً..

"

أنا أجول في الصحراء

ولم يطلق سراحي

والشوقُ فَضَّ بكارة أقداحي

وانهمر الدمع كسيل القوافي

جسدي بيداء طف في المنافي

قلمي وطن المنفى

دفتري كهف المأوى

رحلت عن من هي خيرُ سلوى

فيها تضجُّ كل نجوى

تتخطى هامات النجوم

لتحوم وتحوم

تلك الهموم

قبسات من فنون

وسيف الجنون

نعم هناك في تلك الديار

ظل معلقاً قلبي

عقلي

بدني

مفتون

السلام على ابنه المقتول

من إلى قبره الملائك تسير

وتقرر المصير

حسينٌ خالدٌ شاء القدير

وإن عُبثَ بالتأريخ

وحتى طائر المريخ

يُحيِّي نَجلَ الأمير

"

الوصول،،

«أحسست بالفخر لأنَّني زائر الأمير
ونجل الأمير..»

بعد الوصول إلى أرض الوطن شعرتُ بأنَّي الآن قد عُدتُ إلى الأهل والأصحاب والأصدقاء.. ولكن! في قلبي غصة فراق أرض عليٍ والحسين، وفور رؤية أصحابي لي لم يتسنَّ لهم إلا أن يأخذوا بعضاً من رائحة كربلاء والفرات..!، وبعض التراب العالق ببدني!.. حقاً شعرتُ بالفخر لأنَّيَ الزائر لتلك الديار..، أما الأهل فكانت القُبل منهم في كل مكان.. وهناك من احتضنني وبدأ باستنشاق رائحة كربلاء؛ أما ما أدهشني هو قبلة أحد الأصحاب الأحباب التي لم أكن أتوقعها أبداً لكنها كانت مميزة وجعلتني أفتخر بأني لامست الشباك، وهي حقاً لحظات لا تنسى ولا يمكنني أن أنسى تلك الثواني التي قضيتها في تلك الأرض، وأنا إلى الآن لم أتمكن من الخروج من سَكرةِ عشق كربلاء.

الختام،،

«مـا أنـا إلا كاتـبٌ صغيـرٌ فـي عالـم الكُتاب..»

في الختام، شُكراً لله شكراً للحسين شكراً لزينب.. أسأل من الله المنّان أن يمن على أبي وأمي وأخوتي بالصحة والعافية والعمر المديد في خدمة السيد محرر العبيد مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبدوام الموالاة للنبي وآل بيته المعصومين الأطهار صلوات الله عليه وعليهم، وهذه الكلمات أرجو بها رضا الرحمن وأسأل الله أن يرزقنا زيارة الحسين عليه السلام في الأربعين مع كل الأحباب ولقد دوّنت هذه اللحظات لكي يعرف الجميع بأنها زيارة يمكن أن تُرى بين طياتها العجائب وهي من علامات المؤمنين الكرام الذين أسأل الله تعالى أن نكون منهم ونحشر معهم في اليوم الموعود، لا أنسى أن أشكر السيد الذي تعلمت منه حب الحسين وفنون عشقه «السيد محمد الحسيني الشيرازي» قدست روحه الزكية، فمنه ومن أبي وأمي تعلمت كيف يمكنني عشق هذا المولى المعظَّم الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أجمعين.

ولا أنسى أن أشكر كل من ساعدني وشجعني على إتمام صحائف «جئتُك» كربلاء، فهؤلاء جميعاً شاركوني الرحلة وشاركوني الذكريات، فشكراً لهم وألف شكر..

حسين

زِيارَةُ الأَرْبَعِين

«السَّـلامُ عَلَى وَلِـيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّـلامُ عَلَـى خَلِيلِ اللَّهِ وَنَجِيبِهِ، السَّلامُ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُوم الشَّـهِيدِ، السَّـلامُ عَلَى أَسِـيرِ الْكُرُبَاتِ وَقَتِيـلِ الْعَبَرَاتِ، اللَّهُـمَّ إِنِّي أَشْـهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّـكَ وَابْنُ وَلِيِّـكَ وَصَفِيُّكَ وَابْـنُ صَفِيِّكَ الْفَائِـزُ بِكَرَامَتِـكَ أَكْرَمْتَهُ بِالشَّـهَادَةِ وَحَبَوْتَـهُ بِالسَّـعَادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الْوِلادَةِ وَجَعَلْتَهُ سَـيِّداً مِنَ السَّـادَةِ وَقَائِداً مِـنَ الْقَادَةِ وَذَائِداً مِـنَ الذَّادَةِ وَأَعْطَيْتَـهُ مَوَارِيثَ الأَنْبِيَاءِ وَجَعَلْتَـهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِـنَ الأَوْصِيَاءِ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْـتَنْقِذَ عِبَـادَكَ مِنَ الْجَهَالَـةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَـةِ، وَقَدْ تَـوَازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْـهُ الدُّنْيَا وَبَاعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنَى وَشَـرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَـسِ وَتَغَطْـرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ وَأَسْـخَطَ نَبِيَّـكَ وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشِّـقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَحَمَلَةَ الأَوْزَارِ الْمُسْـتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدَهُـمْ فِيـكَ صَابِـراً مُحْتَسِـباً حَتَّـى سُـفِكَ فِي طَاعَتِـكَ دَمُهُ وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ، اللَّهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبِيلاً وَعَذِّبْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً.

السَّـلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُـولِ اللَّهِ، السَّـلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ سَـيِّدِ

الأَوْصِيَاءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللَّهِ وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ سَعِيداً وَمَضَيْتَ حَمِيداً وَمِتَّ فَقِيداً مَظْلُوماً شَهِيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَكَ وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي وَلِيٌّ لِمَنْ وَالاهُ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الأَصْلابِ الشَّامِخَةِ وَالأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمَّاتُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَأَعْلامُ الْهُدَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَالْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ بِشَرَائِعِ دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْرِي لأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»[1]«

«عن زَيد الشَّحّام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لِمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زارَ الله في عَرشه، قال: قلت: ما لمن زارَ أحداً منكم؟ قال: كمن زارَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

---

(١) الدعاء والزيارة، سيد محمد الحسيني الشيراي قدس سره، ص ٧٩٠.

(٢) كامل الزيارات، ص ١٥٩

المحتويات

جِـــئـــتُـــك

***

حسين المتروك

١٣/ ٣/ ٢٠٠٨م

التعديل الأخير

١٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م

***

التدقيق اللغوي:

عبدالله أشكناني

***